٦٥٠٧
١٠٣٢٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

٦٥٠٧
١٠٣٢٨٧

البعث الإسلامي

أنشأها (المغفور له) الأستاذ محمد الحسني في عام ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م

مع الاسلام القائد لا الاسلام التابع

[نحن مع الاسلام القائد ، السائد ، المعـلم ، الموجه ، و . . مع الاسلام المستقل الأصيل ، لا الاسلام التابع ، لا الاسلام الذى يتلقى الأوامر والتعليمات من « الباب العالى » فى موسكو ، و « البيت الأبيض » فى واشنطن .

مع إسلام لا ينكر العلم والسياسة ، بل إن العلم و السياسة فيه عبادة ، ولا يهمل الطاعة و العبادة ، فهى مفزع المؤمن و مأمنه ، و حصنه و معقله ، و أكبر همه و غاية مناه .

مع إسلام مناضل مكافح متصل الحلقـات بجميع أجزائه ، وثيق العرى بجميع حركاته و تنظيماته ، عميق الحب بجميع أبنائه ، كثير الاعتراف بالفضل ، عظيم التقدير لذوى الكفاية و الاخلاص ، كبير الشكر على المساهمة و التعاون .

هذا الاسلام العميق الواسع ، المشرف النير ، الكامل الشامل . الأصيل المستقل ، المكافح المناضل .

الاسلام الذى يتكلم ولو كره الصليبيون الجدد ، الحمر والبيض والصفر ، ويرفع صوته لتنظيم المجتمع والحكم ، والأسرة والعائلة على أسس نقية واضحة من السيرة الطاهر ، والشريعة الخالدة ، والكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد] محمد الحسنى

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمى الندوى — واضح رشيد الحسنى الندوى

⊛ العدد الأول — ⊛ المجلد الرابع و العشرون

⊛ رمضان ١٣٩٩هـ — ⊛ أغسطس و سبتمبر ١٩٧٩م

في هذا العدد

إنا لله وإنا إليه راجعون ٣

إلى الرفيق الأعلى ! سعيد الأعظمي ٤

***** التوجيه الاسلامى *****

المادية الطاغية تغطى جميع وجوه النشاط فى حياتنا فضيلة الشيخ السيد أبى الحسن على الندوى ١٠

الامبريالية الغربية تهدد المسلمين الكاتبه الأمريكية المسلمة مريم جميلة ١٦

عودة الحضارة الاسلامية والتحدى الأوربى دكتور عبدالحليم عويس ٢٤

***** الدعوة الاسلامية *****

نشتم الأتراك ونترهم خطاهم الدكتور نعمان السامرائى ٣١

الدعوة إلى الخير ،مفهومها ، مقتضياتها السيد جلال الدين العمرى ٢٤

ماذا يقول القراكى ؟ أبو عمر عبدالعزيز النورستانى ٤١

***** دراسات وأبحاث *****

دور الجغرافية فى تعضيد النظام الاسلامى فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى ٤٨

التدخين . مضاره ونتائجه ؟ الأستاذ سعيد عبد الله بن سيف الحاتمى ٦٣

***** الفقه الاسلامى *****

مبادىء التدوين الجديد للقانون الاسلامى ومنهجه فضيلة المفتى سياح الدين كاكاخيل ٧٢

***** مع الراحل الكريم *****

جامعة ، البعث الاسلامى ، الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله تعالى) ٨٢

الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله تعالى) سماحة الشيخ أبى لحسن على الحسنى الندوى ٨٦

و إنا على فراقك لمحزونون يا أخى محمد ! فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى ٩٦

***** العالم الاسلامى *****

الجيل الضائع . . بين الحق و الباطل الأستاذ سعيد الراحى ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

إنها مفاجأة أليمة تتصدع بها القلوب و تخرس منها الألسن ، و لا نجد من الكلمات ما نعبر به عن الأسى والحزن البالغين بوفاة صديقنا الأثير الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله تعالى) رئيس تحرير المجلة ، من غير مرض مسبق طال به ، فقد كنا نعيش حسب ما تعودنا و كل شئ على حاله و ما كان يخطر بالبال أنه يفارقنا و يلبى نداء الرفيق الأعلى فجأة ، ويتركنا فى حيرة و تيه و ظلام .

أصيح فى ١٨/ رجب ١٣٩٩ه (المصادف ١٣/ يونيو ١٩٨٩) يوم الأربعاء كعادته ، مشغولا بتلاوة القرآن وما يتلوها من فطور ومطالعة الجرائد و الاستماع إلى الأنباء ثم التعليق عليها ، و اشتكى بعد ساعة ألماً خفيفاً فى المعدة من غير أن يهمه ذلك و لكنه ظل يتزايد ، و رغم العلاج السريع و الاهتمام بالمعالجة لم يكتب له الشفاء و لحق بالرفيق الأعلى مساء ذلك اليوم ، فانا لله و إنا إليه واجعون .

ونحن إذ ننعى إلى قرائنا الكرام بهذا المصاب العظيم نرجو أن لايفوتهم الاهتمام بدعاء الرحمة و المغفرة للراحل الكريم و دعاء الصبر و السلوان لأهله و ذويه و لعمه الجليل سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى (أطال الله بقاءه للاسلام و المسلمين) ولأسرة المجلة وأعضائها المحزونين ؟

سعيد الأعظمى

إلى الرفيق الأعلى ..

تحققت مشيئة الله سبحانه و تعالى فى أخينا الحبيب الأستاذ محمد الحسنى رغم جميع المحاولات و التمنيات ، فانتقل لجماعة من الرفيق الأسفل إلى الرفيق الأعـــلى ، معرضاً عن الدنيا ومباهجها ، تاركاً أهله وإخوته و كباره و صغاره كلهم فى حيرة ، وفى قلق ، يعتصر الأسى قلوبهم ، ويملأ الحزن نفوسهم ، ويهز الألم كيانهم ، و لولا الايمان بحكمة الله ، و لو لا الصبر عند الصدمة مطلوب من عباد الله ، لما وجد من يصبر على هذا الحادث الأليم ، و ما رقأت دموع فى العيون ، وما هدأت أعاصير الحزن و الألم ، و لكنه قضاء الله فى الانسان ، و بلاؤه فى المؤمنين ، وهو الذى يقضى ويلو ، و يجزى الصابرين و يبشرهم بالرحمة و المغفرة و الاهتداء « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون » .

فارقنا الأستاذ محمد الحسنى رحمـــه الله فى ١٨/ رجب ١٣٩٩هـ ليلة الخميس (١٣/ حزيران ١٩٧٩م) عقب مرض قليل لم يدم إلا ساعات قليلة ، و إنما هو ألم خفيف فى المعدة ، بدأ ضحى يوم الأربعاء وظل يتزايد رغم المعالجات والمراجعات الطبية حتى وافاه الأجل عشاءاً ولبى نداء ربه فرحاً مستبشراً مبتسماً مسروراً ، وسقط شهيداً فى غمار المعركة الحاميـــة التى خاضها قبل اليوم بربع قرن تقريباً و التحق باخوانه الشهداء و الصديقين و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً .

عرفت الصديق محمد الحسنى منذ ٢٦ سنة حينما كان يحضر دروس الحديث الشريف التى كان يلقيها المغفور له فضيلة المحدث الجليل الشيخ محمد حليم عطا شيخ الحديث بدار العلوم ندوة العلماء أمام طلاب الدراسات العليا ، و دخل حبـــه فى قلبى كأنه كان منه على ميعاد .

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

و كنت أراه فى دروس القرآن الكريم التى كان يلقيها عمـــه الجليل سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى مركز الدعوة و التبليغ ، و ذلك كل يوم الأحد بعد صلاة المغرب ، وكان من عادتنا أننا كنا نلتقى ولو لعدة دقائق فقط بعد الانتهاء من الدرس ، وتتبادل التحيات والأشواق، وفى خلال هذه اللقاءات بدالى أن محمد الحسنى ليس شاباً عادياً بل إنه يتميز بتفكير سليم ، و إنه يفكر فيما لا يفكر فيه الشباب بوجه عام ، و إنه يتطلع إلى مستقبل بعيد ، و يدرس أحوال المسلمين فى العالم الاسلامى و يتابع قضايا الفكر الاسلامى و الدعوة الاسلامية باهتمام بالغ ، و يبدى فيها آراءه و وجهات نظره ، كما يفعل كبار المفكرين و أصحاب الدعوات و الفلسفات ، و الحقيقة أننى وجدت فيه بغيتى و رأيت أن الغرض الذى أتوخاه من دراستى و من إقامتى فى جامعة إسلامية كدار العلوم ندوة العلماء لا يتحقق إلا بمتابعة هذا الفكر السليم و مرافقة شاب ناهض له قيمته فى الانصراف عن سفاسف الأمور إلى معاليها ، والارتفاع إلى القمـــة العالية التى لا يحلم بها كثير من أصحاب المبادىء و الاختصاصات فضلا عن شاب لا يتجاوز ١٨ سنة من عمره .

كان لتربية والده العظيم الدكتور عبد العلى الحسنى (رحمه الله تعالى) ولعناية عمه الجليل به كبير تأثير فى هذه الفكرة العالية التى امتاز بها عن غيره ، أضف إلى ذلك أسرته الكريمة و البيئة التى عاش فيهـا و التى أضفت عليه لوناً جميلا من الطموح و الهمة و الذكاء و الجدية ، و فجرت طاقته المكنونة الهائلة ، و هنالك تطلع إلى الأفق البعيد ، وفكر فيما ينهض بالمسلمين من كبوتهم ، وينقذ العالم الاسلامى من أصنام الجاهليات المختلفة و آلهة القوميات و الوطنيات الطاغية ، ونطاق الفلسفات والنظرات الضيق ، إلى رحاب الاسلام و منهجه الأصيل السليم .

هذه الفكرة الشاملة غطته من جميع النواحى واستولت عليه و ما تركته يهدأ أو يترقب الفرص و المناسبات بل إنه رأى نشر هذه الفكرة و إذاعتها إلى أقصى ما يمكن واجبه الأكبر ، وأسس لهذا الغرض جمعية باسم المنتدى الأدبى و عين لها

أعضاء، و كان القصد من وراثها أولا إبلاغ الفكرة عن طريق مقالات كان يلقيها فيها أسبوعياً إلى مجموعة طيبة من الاخوة، ثم الاشعار بأهمية الواجب الذى يتطلبه منا العالم الاسلامى اليوم ، وعرض على الأعضاء فكرة جمع المقالات و البحوث التى كانت تلقى فى الجلسات الأسبوعية فى مجموعة ، و نشرها فى صورة كتاب أو مجلة ، فرحب معظم الأعضاء بهذه الفكرة و رأها البعض الآخر أمراً مستحيلا ، و لكنه لم ين و لم ييأس و ظل ينمى الفكرة و يغذيها حتى قرر - و معه هذا العاجز - أن يصدر مجلة شهرية إسلامية باسم « البعث الاسلامى » .

صدر العدد الأول من مجلة « البعث الاسلامى » فى صفر ١٣٧٥هـ المصادف أكتوبر ١٩٥٥م و لكن لا بسهولة ، بل بعد أن كلف هـذا العمل بذل جهود كبيرة و استنفد شيئاً كثيراً من طاقتنا و همتنا ، ذلك لأنه لم يكن أمراً يسيراً ، خاصة و التسهيلات المطبعية لم تكن متوفرة كما ينبغى ، و لم تكن الأمور تسير على ما يرام ، بل كانت هناك ألوان و أنواع من العقبات والعراقيل تكاد تتغلب علينا وتثبط الهمة لو لا أن الاخلاص رائده و علو الهمة قائده ، و لو لا دعاء والده العظيم و عمه الكبير ، و كثير ممن كانوا معجبين بهذا العمل .

و وجد فى المجلة مجالا واسعاً لدعم الحركة الاسلاميـة و موازرتها ، ونشر الأفكار البناءة و الآراء الصريحة وإبلاغها إلى فئات الشباب المسلم و مراكز الدعوة و الحركات الدينية فى العالم الاسلامى بوجه خاص ، و إشعال تلك الجمرة الايمانية التى كانت كامنة فى الرماد ، و يواريها الخوف من طواغيت الظلم و الارهاب تارة، و يفترها المغرضون و الاباحيون تارة أخرى ، و لكنه نادى بالثورة على جميع هذه العوامل الزائلة و اتخذ أسلوباً هجومياً يأتى على أوكار الفساد والهدم ، ويقضى على اليأس الذى تسرب إلى النفوس و استقر فيها .

ما قصر فى أداء هـذا الواجب العظيم حتى فى أصعب اللحظات و أقسى الظروف ، و قد خفنا بعض الأحيان عليه وعلى المجلة إذا لم يلن موقفه و لم يتنازل عن الصراحة قليلا ، إلا أنه أبى وظل صامداً فى وجه كل طوفان وكل إعصار ، وكل

إرهاب ، و ما رضى بالمسالمة مع الظروف ما دام الحق معه ، فضلا عن المساومة أو الفرار عن الميدان .

هذا شأنه فى كل قضية تعارض الفكرة الاسلامية النقية أوتنال من العقيدة الدينية أو تبرر الانسحاب عن المضمار، فكان يصب كل طاقته لتفنيدها وإحباطها ، ولا يطمئن ولا يهدأ مالم يتأكد أنه أدى واجبه وأرضى ضميره و لم يعد هناك ما يطلب المزيد .

و لم يدخر وسعاً فى شرح الحضارة الاسلاميـة و إثبات فضلها فى خدمـة الانسان ، و دورها فى بناء السيرة الانسانيـة المثلى ، كما تناول الحضارة الغربية و المدنيات الزائفة بالنقد والتحليل ، و أثبت زيفها و فشلها فى إسعاد الحياة وتوفير الهدوء والطمأنينة إلى المجتمع الانسانى ، رغم تقدمها الهائل فى مجالات العلم والصناعة و التكنولوجيا ، و مقالاته و افتتاحياته فى هـذا الموضوع خير شاهد على نظرته الواسعة و بصيرته النافذة ، و معلوماته الحديثة الأحدث .

كان ذا إطلاع واسع على آخر ما يدور فى العالم المعاصر من أفكار وآراء و نظرات و فلسفات فكان يدرسها و يتأمل فيها و يستخرج ما فيها من مواضع الضعف و الضرر ، و ما فيها من دجل وتلبيس ضد الاسلام وتعاليمه ، فكان يرى من واجبه أن يبرز هذه التلفيقات و يشير إلى هـذه السموم الفتاكة فى مقالاته و بحوثه وافتتاحياته ، و ينبه عليها المعنيين بقضايا الاسلام خاصة ، وقد أوجد لكل ذلك أسلوباً من الكتابة قوياً رصيناً ، فيه الأصالة و الجزالة ، و فيه روح الدعوة و قوة الخطاب ، جدير بأن يسمى أسلوب الدعوة الاسلامية فى العالم المعاصر .

جمع الله له بين الفكرة الاسلامية النقية و المعلومات الحديثـة عن الأفكار و الفلسفات التى تغزو العالم المعاصر ، و تزعزع ثقـة الشباب المثقف بالاسلام ، و جمع له بين القلب المؤمن و العقل الواسع و بين الذكاء و الورع ، و بين الفقه و الايمان ، و بين الأخلاق الفاضلة والسيرة المثالية ، فكان شاباً عالماً نشأ فى عبادة الله ، بطلا مجاهداً تولى الجهاد بقلمه الجريئ المؤمن وبكتاباته الصارخة القوية . ضد كل جاهلية بأوسع معناها .

و لأجل هذه الخصائص و السمات كان يحبه عمه الجليل سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى ، ويراه بمثابة ولده و قرة عينه و فلذة كبده وعمدة نشاطه ، و قد اعتنى من أول الأمر بتربيته و ألف له كتاباً بالعربية باسم قصص النبيين ، عند ما كان طفلا ، لكى يتعلم به العربية ، و كل كتاب أو مؤلف كان يشتغل بوضعه وتأليفه لايفارقه الشعور فيه بأن له زاداً و غذاءآ فيه و أنه أول من يقرأه ويستفيد منه ، وذلك هوالسبب المباشر فى كونه خلفاً صالحاً لعمه الجليل فى كل شئ ، فى الفكرة ، و السيرة و السلوك ، و حتى فى الشعور و فى الخط ، فكيف لا يكون السيد محمد الحسنى معقد آمال عمه الجليل و مركز نشاطه ، و كيف لا يحزن بمصابه فيه ويتألم بوفاته المفاجئة .

ومن ثم لم تكن وفاته فى هذه السن المبكرة ، و فى عمر لا يتجاوز ٤٤ سنة - وهى سن الشباب و النشاط بوجه عام- خسارة أسرة واحدة أو مؤسسة واحدة أو بلد واحد فحسب ، بل إنها خسارة العالم الاسلامى ، وخسارة الفكرة الاسلامية و خسارة الأمة بأسرها ، و الذى رأه عن كثب واطلع على أفكاره و آرائه النقية يستطيع أن يقدر مدى أهميته و قيمة العمل الجليل الذى كان يؤديه ، و المعركة التى كان يخوضها .

فقدناه فى وقت كنا فيه بأشد حاجة إليه ، و إلى فكرته السليمة ، و إلى منهجه القويم الذى خطه فى مجال العمل و الدعوة والصحافة الاسلامية الموضوعية ، ولكن الله سبحانه أراد أن يسترد هذه الأمانة من الآن لحكمة لا يعلمها الانسان ، فلا مناص مما قدر الله و لا سبيل إلا الصبر ، فصبراً يا آل الحسن و الحسين رضى الله عنهما ، وصبراً يا أهل الفقيد وذويه ، وأصدقاءه ومحبيه ، « إنه من يتق و يصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » .

اللهم تغمد الراحل الكريم بمغفرتك ورحمتك ، وأسكنه فسيح جناتك ونعيمك ، ووف بمنك وكرمك جزاء عمله وجهاده الموفور الكريم ، وألحقنا به فى أحسن منزل وأكرم مثوى فى جنات النعيم ، فانك يارب غفور رحيم ؟

سعيد الأعظمى

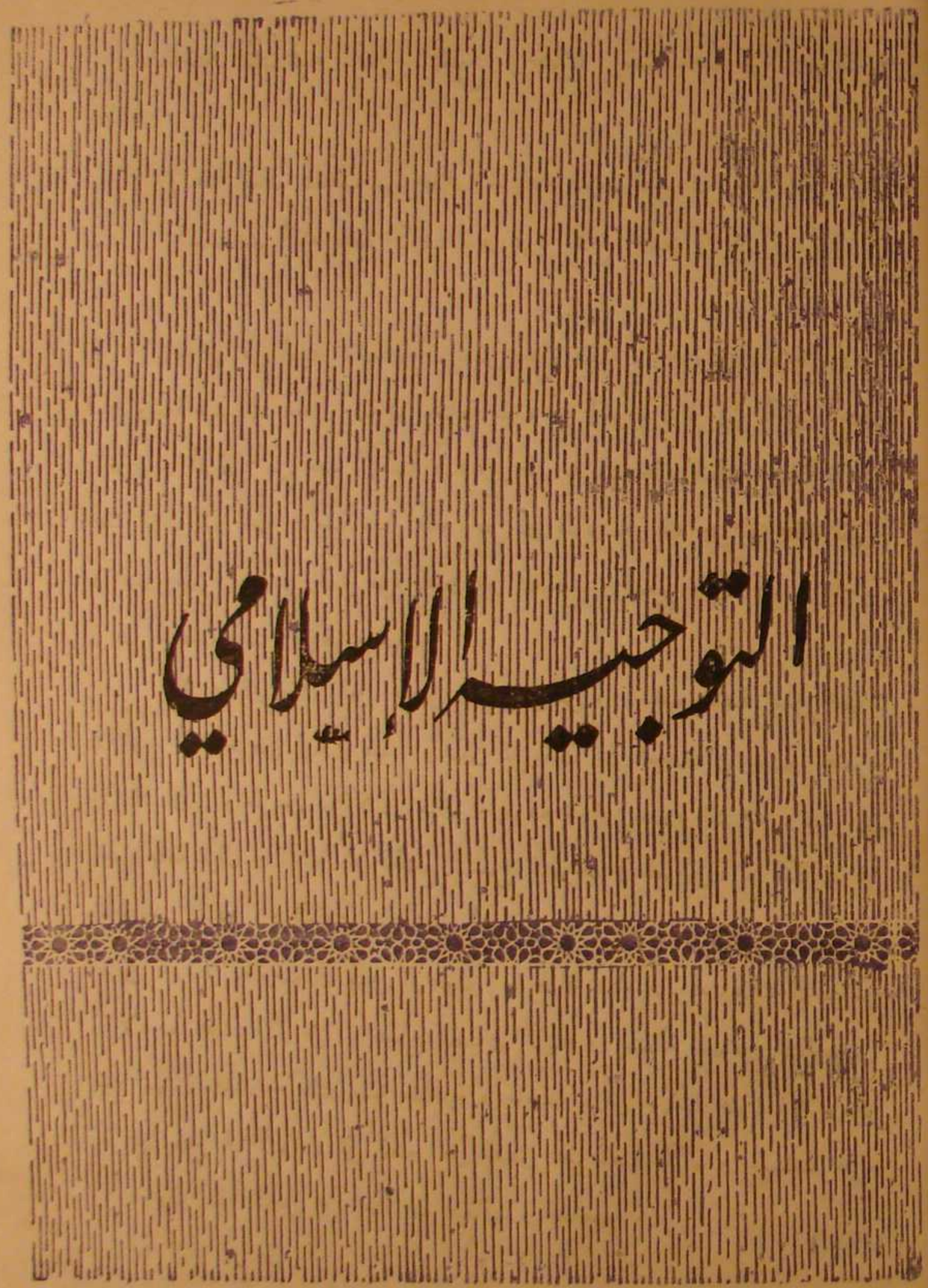

المادية الطاغية تغطى جميع وجوه النشـاط فى حياتنا

[هذا المقال مقتطف من خطاب لسماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى النـــدوى ألقاه باللغة الأردية ، و عربه الأخ محمـــد إبراهيم ردولوى] .

إذا كان من أمنية الانسان أن يعيش حياة مثقفة و حياة رخاء و هناء وحياة عز ونعمة فليس مما يعجب منه أو يغتاظه غيره من إخوانه ، بل إننى أتجاوز خطوة أخرى و أقول : من حقه أن يهنأ عليه ويرحب به على هذه النظرة ، لماذا ؟ لأن هذا الشعور و هذه الأمنية دليل ظاهر على أن الانسـان قلبه حى و عقله مفتوح و نفسه طموح ، وهو يحمل قوة التمييز بين الصحيح و السقيم وبين الجيد و الرديئ و هو مرهف الحس ورقيق الخيال .

فكل ما يجرى فى العالم طبيعى وراءه عوامل و أسباب خاصة تعمل عملها ، لا أريد أن أتعرض للبحث فيها . و لكن مما يبعث على العجب أن يتعدى الطموح إلى التسامى ، والحرص على كسب مكانة مرموقة تتجاوز حدود الشرف ويصل إلى حد النهامة للمال و الجاه ، و الجشع لاشباع الشهوات و الغرائز ، و التكالب على الأعراض التافهة ، و التهافت على تحقيق أغراض و نوايا خسيسة كائنا ما كان وبأى طريق كان ، لا يكترث فى سبيل الوصول إليها باراقة دماء الأبرياء وهتك الأعراض و لا يعبأ بحداد الأرامل و صياح الصبيان الأيتام و استغاثة الملهوفين المظلومين ، يتبع شهواته العمياء وتملك نفسه مشاعره وأحاسيسه ويجن ورائها جنونا ، لا يفكر إلا فيما يفتح له الأبواب التى تمكنه من القبض على ناصية الأمم و إثبات قوته و جبروته أمام الناس على اختلاف طبقاتهم و مذاهبهم .

إن وراء الحروب الضارية التى سودت صفحات التاريخ و المعارك الدامية بين بلاد و بلاد ، و بين أمة و أمة ، و الخطوط الدامية التى رسمت بدم الانسان الحار المتدفق الطرى ورسمتها أيدى هولاء المجانين ممن أنكروا مصالح الأمة الاجتماعية و تحدوا مستقبل الانسان وحقوقه المشروعة و داسوها بأقدامهم ، وهؤلاء الأبطال و الفاتحون الذين دوخوا العـالم لم يفعلو ذلك إلا لكى يضفوا عليـــه لباس العزة و يحموه من الأعداء و يقتلعوا منه نفوذ المغرضين المغتصبين من أراضيهم المحتلة .

لقد توغل الانجليز فى الهند و بثوا نفوذهم فيهـــا و وضعوا فيها سيف الظلم و الطغيان و عاملوا شعبها بالعنف و الشدة و أذاقوا أهلها سوء العذاب و جاوزوا حدود الانسانية إلى الوحشية الضارية فقامت حركات تحرير الهند اهتزبهـــا عرشهم و بنيانهم و أرغموا على الانسحاب من القارة الهندية ، فلم ينكر هذه الحركات أحد لأنها كانت من أجل استعادة الحق المشروع و إعادة شرف الانسان .

ولكن إذا تجاوزت حركة من الحركات حدود الشرف ، و كرامة الانسان و انغمس أصحابها فى تدمير المنشآت للحيـاة لأغراض فردية ، وعمت الفوضوية ، والنفعية الذاتية ، وهبت عواصف تقلع القيم من جذورهـــا ، و ذهبت الحضارات والمدنيات بجميع أشكالها وذخائر العلوم والآداب التى تكونت بجهود مكثفة ، أضرت لها العيون ، وتلاشت دواوين الأشعار التى رووها بدمائهم الغالية و انقلت غاراً و ترايا و هشيما تذروه الرياح .

وهذا الداء المؤبق والمرض الفادح من الغرض الذاتى والنفعية الفردية قد بدت بوادره فينا نحن المسلمين فاننا نعانى منه منذ زمن غير بعيد وإنه لداء معضل خطير ، و إن ما نشاهده من فقدان الاتزان و القصد فى حياتنا ، و دخول الشقاء فى حياتنا لم يكن غريباً لو كانت أراضينا قفاراً لا تزرع و كانت محرومة من المناجم و كانت

الوسائل محدودة ، وكانت رقعة البلاد ضيقة مع تكاثف عدد سكانها ولكن الحقيقة عكس ذلك ، فما هو السبب إذاً ؟ : لقد تغافلنا عن المصالح الذاتية ، و لا يستطيع مجتمع أو أسرة أن تعيش حياة صالحة و عيشة مريحة صافية من الأحزان طاهرة من الأدناس ما لم يتمتع أفرادها بحقهم المشروع و لم يتواكل بعضهم على بعض ، ولكن مجتمعنا تجرد من الصفات الحسنة ونسى فيه الناس هدفهم المنشود الذى خلقوا لأجله و غايتهم الصحيحة التى جعلوا من أجلها خليفـــة الله فى الأرض ، فاذا كان الوضع ما نراه فلا أستطيع أن أتكهن بما فى الغد الغريب و لكننى أقول إن هذه المجهودات و المحاولات تذهب سدى و هذه الجامعات العالية و المكتبات الزاخرة و هذه التجارب و الاكتشافات لا تجدى فائدة ، و هذه الآداب و الدواوين التى تنفخ فى الحياة روحا جديدة و تنعش الأعصـــاب المخدرة تذهب مهب الرياح ، و إذا تفاقم الوضع قليلا أوحش الطريق و أقفر الشوارع و عطـــل المحـــاكم و المكاتب و أقفل المستشفيات على الفقراء و ذوى الحـاجة ، و يصعب الاشتراك فى الاحتفالات و الأفراح ثم لا يجد الظمآن ماء و الجائع طعاماً و يتعاظم الخطر ويهجم على الانسانية فى قوة وهى فى عمايتها تسعى إلى إحرازأغراض هامشية ، وكل واحد يتشهى أن يصبح صاحب ملايين بين عشية و ضحاها .

والأحزاب السياسية فى عصرنا هذا ركزت قصارى جهودها على إيجاد أسلوب مبتكر و اختراع طريق أفضل لكسب الرأى العام و للنجاح فى الانتخابات و تولى الرئاسة و الوزارة من غير أن يشمئز بالفظائع التى حدثت ، وإنما همها أن يكون ذلك كله فى رعايتها وتحت إشرافها فاذا وافق القدر محاولاتها ونجحت فى الانتخابات رجعت تنتهز فرصا سانحة للاستغلال عن طريق مشروع أو غير مشروع ، وتنتهز كل فرصة لتحسو حسوا من الغلات والموارد كاجتماع نفر على بقرة ميتة ،كل شخص

يريد أن يحلب منها ما استطاع ، وكل مكب على شأنه لا يلوى على أحد ، فمن أجرم فى حقه و حق بلاد سواه .

هؤلاء المغرضون وزعماء هذه الأحزاب السياسية المحتكرون يقطعون هذا الجذع الذى نسجوا عليه عشهم و يضربون عليه المعاول و يفرحون ، ويريدون أن يغرقوا هذه السفينة التى عليها أثاثهم و بضاعتهم ، و التى ترتبط بها حياتهم وحياة عيالهم ، إن غرقت غرقت بهم ، إنه خطر فوق العادة ، خطر يجدر بأن ترتفع له الأصوات ويتظاهر الناس ضد هؤلاء العابثين بحياة الأمم والمخاطرين بمستقبل الأقوام ، ويخرج الناس مغامرين بأنفسهم يحتجون على هذه العمليـــة قائلين : ماذا تعملون ببلادنا ؟ نحن نعيش هنا ونموت فى هذه الأرض ليس لنا غير ما نلجأ فيه .

ولكن هناك شيئن يمنعان الانسان من أن يتعدى الحدود والقيم الخلقية ويمنعه الوقوع فى هوة الهلاك و يدفعانه على تجنب اقتراف الظلم والجور وكسب المآثم والذنوب ، ويبعثانه على مراعاة حقوق الله وحقوق البشر ، وعلى القصد والاتزان و على السير فى سواء السبيل ، و هما يشمـــلان جميع أنواع البشر مهما اختلفت طبائعهم و تعددت طبقاتهم و ميولهم سواء كانو ينشغلون بشئون الحكومة أو غيرها من قطاعات الحياة شعباً وحكومة ، أم كانو منخرطين بنظام الأسرة أفراداً وجماعات أو كانوا زعماء أو من الدهماء ، كانوا أصحاب خيرات وكفاءات علمية أوكانوا أميين ، أو علماء و فلاسفة .

أولهما : ما نعتقد فيه و نعتز به و هو أكبر وازع و أعظم زاجر و هو الدين و تعاليمه ، من التقى و الايمان بالموت و وحقيقة التمثل أمام الله و المحاسبة على الأعمال التى قدمناها و مراحل القبر و ظلامه و المرور على الصراط ، ويوم القيامة و هوله ، وفى ذلك من القوة الحقيقية والوازع الأكبر للمسلم المؤمن المخلص

فى دينه ما لا يخفى ، فاذا وجدت هذه القوة الحقيقية و الحرارة الايمانية و جمرة الشوق الملتهبة لدى إنسان اليوم لتمثلت تلك القصص المأثورة للبطولة أمام عينيه مثل ما سمعتم عنها فى القرون الأولى ، كما يقول التاريخ : إن رجلا من جيش المسلمين وجد عقداً مرصعاً لملك إيران أثناء القتال فأسرع به إلى الحاكم العسكرى فى كمه ليعرض عليه و عرض عليه فعلا فأرسل عليه نظره عجباً وقال لم تخسر الدنيا رجالا يؤثرون على أنفسهم ، و الله لو أراد أن يحجبه عنى لكان عليه قادراً و سأله عن اسمه فقال الأعرابى ، للذى فعلتـــه يعرف اسمى و لست بحاجة إلى أن أعرفك نفسى و سلم عليه وانطلق ، وكما تعرفون حق المعرفة أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلن أن لا يمزج الماء بالحليب ، و مرة كان يطوف غلسا ومر بمنزل فى الحى وسمع امرأة تقول لابنته : يا ابنتى هاهو قد أسفر الصبح أو كاد ، تعجلى بمزج الماء بالحليب فردت يا أمى هلا تعرفين أن أمير المؤمنين نهى عنه و هـــذا أمر رسمى ، فقـالت الأم : من يراك فى هذه الساعة فأجابت : إن كان لا ينظر هو فالله فوقه ـ فالقوة كل القوة فى هذه العقيدة التى يجب أن يتحلى بها كل إنسان و ليس المرء بمعزل عنها فى أى حال و فى أى لحظة أينما كان .

و الثانى ـ الذى اتخذته أوربا كبديل عن الدين الحقيق ، و هو الوطنيـة ، والحب الخالص الصحيح والعلاقة الحقيقية الدائمة مع البلاد وأهلها ، و هذه نظرية يقبلها كل شخص و يعطيها إكباراً و إجلالا و يؤمن كل فرد أن البـــلاد بلاده لا يصبر على عملية خاطئة ويغرر بنفسه لمحو الفساد الخلقى إذا عم بلاده ولا يسمح بأن تعطى الحقوق دون ذويهـا ، لا يمكن فى بلادنا ما يؤدى إلى إنتشار الفوضى و اللاقانونية و انحلال المجتمع إذا عمت هذه النظرية على أقل تقدير .

و هذه النظرية و هذا الخيال لا شك أنه خيال هامشى و نظرية سطحيـــة بالنسبة إلى هذه العقيدة الدينية السامية و ليست جذورها راسخة وعميقة كجذور هذه العقيدة . و لكنها لا تذهب سدى ، بل الحقيقة أن أوربا قائمة على هـذه النظرية

و العمل بها و تطبيقها فى الحياة ، يعرف كل من زار أوربا أن هنالك صنـــاديق لوضع اللقط ، من فقد شيئاً أو نسى وجده فى هذه الأمكنة الخاصة بعد دفع بعض النقود من الجعل ، وليسوا ممن يتمسك بالدين ويتشبث بحبل العقيدة و ليسوا مسيحيين بجميع ما تحمل الكلمة من معنى ، و لكنهم حققوا شيئاً جوهريا تتمكن عليه أوربا لا تتزحزح من مكانها رغم المساوى الكثيرة و العيوب الجمة .

فاذا فقدنا هذين الشيئين معاً فماذا يبقى لنا إلا الانهيـار و التفكك و كيف يتحقق لنا الأمن و السلام .

ولكن الذى هو أخطر وأدهى فى الوضع الذى نعيش فيه أنه ليس هناك حزب أو مجموعة من البشر تضطرب لهذا الوضع السيئ الخطير ، فيطير النوم عن عينيها وإن المستنكرين له لا يقل عددهم ولكن لا يوجد من يقدم لمواجهته ولسد بابه ، فهذا شئ خطير و أمر فادح و كثيراً ما حدثت وقائع وقام أهل البغى و الفساد و بثوا السم فى البلاد و أفسدوا فيها فقامت جماعة بالاصـــلاح و عادت بأمور البلاد فى مكانها ، و لكنى لا أرى فى هذا الوقت من يقوم بهذا العمل ، فلم تبرز أى فرقة أو منظمة أو حزب أو مؤسسة أو جماعة من المسلمين أو غيرهم لتتصدى لهذا الوضع الفاسد و تقاوم تيارات الفساد و التدمير .

لذلك فان الذى يفدح الحزن و الألم و يبعث على اليأس والقنوط أنه لا يرى من يقاوم هذه الأحوال المتصارعة و الأوضاع المتوتره و الظروف المؤلمة الدقيقة ، لقد انتشرت شبكات الجامعات و التعاليم العليا و المجامع العلمية و أقسام التخصص و الاختصاص ، و كثرت مجالس الشعر و الأدب و الكتب العلمية القيمة ، بل يسود البلاد جو علمى ولكن الذى يعوزه هو حركة إصلاح الأخلاق ، وتنظيم الأمور و إيجاد الثقة و الاعتماد ، و إيقاظ عواطف المحبة و الاخلاص ، ليست هناك حركة تعرفهم أن الانسان عبد من عباد الله ، من اجترأ عليه من غير حق فقد اجترأ على الله ، واجترأ على شئ محبب عند ربه ، والذى هو خليفته فى الأرض . ✠

الامبريالية الغربية تهدد المسلمين

الكاتبة الأمريكية المسلمة مريم جميلة

(الحلقة الأولى) تعريب : صدر الحسن الندوى

لم تتوصل ـ كما يبدو ـ الأمبريالية الغربية إلى نهاية الحرية السياسية الرمزية ، للبلدان الآسيوية الافريقية بل قد تغيرت العناوين و الاستراتيجية فحسب ، قبل قرن واحد فقط كان الامبرياليون يتحدثون عن تبعة الرجل الأبيض (White Man's Burden) « و الارساليات المسيحية » و « نقل النور إلى الصحراء » و « الميزات الأصيلة الفائقة للسلالة الانكليزية السكسونية » و « بعثة التحضير » (Civilizing Misson) لأوربا ، لكن الآن فى العصر الراهن قد تغيرت العناوين و حلت محلها الأسماء المعسولة أمثال « التغريب » و « التجديد » و « العلمنة » و « التصير » و « التصنيع و « الضغط على التكنولوجيا فى البلدان النامية » و « المعونة الأجنبية » و « التنمية الاقتصادية » و « التقدم » و ما إلى ذلك .

والهدف الرئيسى لـ « بعثة التحضير » لأوربا هو وضع حد للتنوع الحضارى فى العالم و إخضاع الدول غير الأوربية للأوضاع المتأزمة دائماً و استخدام الرجال غير البيض فى الوظائف المهنية الوضيعة و تسجيل أسمائهم فى قائمة الكادحين ودمجهم إلى الحضارة الأوربية العالمية بهذه الوسائل اليسيرة ، و الحقيقة أن مرحلة التغريب فى آسيا و إفريقيا قد ازدادت وتوسعت منذ الحرب العالمية الثانيـــة ، الأمر الذى يشف عن أن الامبريالية الاقتصادية والحضارية الأوربية قد وصلت إلى مركز أقوى

مما كانت عليه فى الماضى ، وبعد انقراض الامبريالية البريطانية والفرنسية و الهولندية و البرتغالية و الأسبانية حلت محلها الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفياتى و هما من أقوى دول العالم اليوم .

و إن الحقيقة المريرة أن عدم بقاء أى حكومـــة من حكومات العالم الثالث بدون المصادقة الخفيـة أوالتأييد الفعال للولايات المتحدة الأمريكية أوالاتحاد السوفياتى أو كليهما ، تثبت أن الحرية السياسية لبلدان « العـالم الثالث » ليست إلا رمزية ، و نتيجة لفصل الأجزاء المختلفة من العالم الاسلامى ، فقد وزعتنا « القوى الكافرة » على خمس و خمسين دولة منعزلة ضعيفة لاحول لهـا و لاطول ، و فرضت عليها حكومات استبدادية و ديكتا تورية عسكرية غير مستقرة ـ ومن المعلوم أن القومية و الزعامة المفروضة يستعبدان الأمـــة ـ و ليست الدول فى العالم الثالث إلاحكومات تابعة مسيرة ـ و كان ذوالفقار على بوتو رئيس الوزراء السابق لباكستان ـ من ديسمبر ١٩٧١ إلى يوليو ١٩٧٧م ـ نموذجا من الحكام الذين ترغب فيهم الولايات المتحدة و الاتحاد و السوفياتى و تفضلهم .

كانت نتيجة الاعتماد الكلى ـ تقريبا ـ فى الاقتصاد و الدفاع على الولايات المتحدة الامريكيـــة و الاتحاد السوفيـاتى أن المسلمين لا يقدرون أن يدافعوا عن أنفسهم بصورة موثرة ضـــد أعدائهم ـ وكل نضال مسلح من جانبنا مكتوب له الفشل فلا يستطيع الفلسطينيون أن يحققوا تقرير المصير و يحصـــلوا على الحقوق الانسانية فى مسقط رأسهم ولايمكن للبلدان العربية المجاورة لها أن تحافظ على مناطقها ضد الاعتداء الصهيونى لأن ضمان الويات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتى للدولة الاسرائيلة يعينها فى مد نفوذها فى داخل المناطق المحتلة وخارجها ـ لبنان صنيع للامبريالية الفرنسية قد مزق جمعها و شتت شملها بجراء الحروب الأهليـة و الغارات الاسرائيلة

المتتالية احتلال المنطقة الجنوبيه لها بمعونة الولايات المتحدة الامريكيـة التى زودتهـا بالأسلحة المستحـدثة الفائقة - والذى يحدث الآن فى لبنان يمكن أن يحدث فى أى بلد من البلدان الاسلامية غـداً - هذه حركة التحرير الأريترية تئن تحت و طأة الشيوعيين الاثيوبيين المسلحين إلى الأذقان بالأسلحة السوفيتة المستحدثه - هـذه باكستان استطاعت أن تكافح عن نفسها احتلال الحزب مع الهند فى سبتمبر ١٩٦٥ بسبب التدخل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى فى نفس الوقت فى يناير ١٩٦٦ ، و وقع الرئيس الباكستانى الأسبق محمد أيوب خان على « اتفاقيـة طشقند » و كانت النتيجة أن انقسمت باكستان فى دسمبر ١٩٧١م .

إن الهجرة الواسعـة إلى أوربا و أميركا من البلدان الاسلامية للحصول على الوظائف المغرية و الأجرة الهائلة و لتحسين « مستوى المعيشة » هى أيضا جزء لا يتجزأ من مرحـلة الاستعمار - لأن الأوضاع الاقتصادية فى المناطق المجدبة المقفرة فى الشرق لا تسمح لأصحاب الكفاءات و المهرة و المفكرين أن يمكثوا فى بلادهم فتحدث هذه الحادثة المرة نتيجة لنزح العقول أن تبقى البلاد مجدبة ، ضعيفة ومتخلفة فى سائر مجالات الحياة ، ولكن رغم هجرتهم إلى بريطانيا وكندا و أميركا و ألمانيا و البلدان الاسكندنيوية فى طلب الرخاء من الحيـاة و بحبوبة من العيش إنهم يواجهون أحيانا التمييز العنصرى من الرجال البيض لأنهم لا يقيمون لهـم وزنا ما بل ينظرون إليهم بنظر الازدراء و الاحتقار و يطرحون أمامهم المناصب الوضيعـة المهينة التى لا يستحسنها أى رجل من البيض ، رغم ذلك هـذا السيل العارم المتدفق للهجرة يتيح - بعض الأحيان - فرصة سانحة للعباقرة النبغاء أن يتمتعوا بالمناصب العالية الفخمة و الرخاء الاقتصادى ، لكن الاغلبية الساحقة منهم لا يتيسر لها إلا الوظائف الضئيلة فى المناطق القديمة المكتظة بالسكان ، وأسوق لكم مثالا فى

هذا الصدد أن الأطباء المدربين على تربيـة أجنبية Foreign Trained Doctors الذين ليسوا مواطنى أمريكا Citizens لا يسمح لهـم - فى معظم الأحوال - بمزاولة مهنة الطب إلا فى المستشفيات الدماغيـة الرسمية مهما كانوا على قمة عاليـة من البراعة حائزين على الشهادة فى شتات العلوم .

إن البلد الوحيد الذى يتمتع بحرية التصرف فى ميدان الاقتصاد و الدفاع فى العالم الثالث من اتخاذ منهجه الوطنى هو الصين ، لكن الحكام الشيوعيين يبذلون هناك جهودهم المكثفة لطمس القيم الدينيـة و الحضارة المبنيـة على تعاليم كنفوشش (Confucius) من قلوب الشعب الصينى بأساليب مخيفة من « التخلف » « والرجعية » و إلى أى مدى تأثرت القيم الدينية و الحضارية فى الصين بالقيم الغربيـة الزائفة يمكن أن يقاس بالتقرير التالى للكاتب الأميركى الذى زار الصين حالياً .

« الصين بلد فى حركة مستمرة ، و هـذا البيان يصح فى كل درجة من المعانى ، لكن الذى يدهش زائرها لأول مرة هو انطباقه حرفيا أنه شاهـد الأغلبية فى حركة ونشاط فى أكثر الأحيان - فى أول صبح فى « بكين » تنتبهون من سباتكم بأصوات المنبهات الرنانة فتكتشفون لماذا ؟ لأن الشوارع ليست بمتسعة لتمر عليها الشاحنات و أوتوبيسات والسيارات من التاكسى والدراجات مع العجلات البطيئـة فى السير جنبا بجنب و السائقون يستخدمون المنبهات لتخويف أصحاب الدراجات و العربات بالصوت المرعب الذى يكون أدهش من الموسيقى العسكرية Marshal music بمكبرات الصوت - حينما تغادرون « بكين » و « كنتون » ستجدون الدراجات والعربات التى تهب ريثا تحول بين سير الشاحنات وأوتوبيسات حتى فى الشوارع الرسمية حيث لا توجـد السيارات الضخمة الخاصة من التاكسى إلا قليلا .

هـذا التنافس فى الذهاب و الأياب يظل موضع فكر عميق و تعمق دقيق للباحث ، لأن ميزات الحكام الحالية للصين تبدو بعد البحث أن همهم الوحيد هو

التقدم فى الانتاج الصناعى و الرقى الاقتصادى تفاديا التعاليم الدينيـة و تجانبا القيم الإسلامية الأخلاقية - « تنج هسيو بنك » نائب رئيس الوزراء الصينى ، صاحب الأعصاب القوية الذى لا يتعب ولايشغر بالكسل و الخور ، حتى إنه حينما يجلس فى المفاوضات السرية يجذب السجارة التى دائما تكون معـــه و يخرج دخانها فى الجو بأشدما يخرج المصنع دخانه فى « جنك كنك » .

معظم السياح ينتمون إلى البلدان الأجنبة من وراء البحار من اليابان وأوروبا الشرقية و الغربية و أميركا و الصينيون من وراء البحار - و لاشك أن السياحة هى خير اداة - للصين - للحصول على العملات الأجنبية لاشتراء الأدوات التكنولوجية من البلدان النائية - لكن بقاء هـذه الموجـة من الهستريا فى المستقبل سيكون موضـع تأسف بالغ للزائرين هناك - لأن الصين لا تفرض الحظر على الخطوة التجارية الشائنة بالنسبة إلى المناظر الطبيعية و البهجة الحقيقية على غرار « هوليود » .

قبل عـدة قرون كان المصورون و الشعراء فى الصين يستلهمون من المناظر الطبيعية ويجعلونها مطمح أفكارهم و تصوراتهم ، لكن الآن قـد استحوذت عليهم المناظر المصطنعة من الجوانب كلها و أقلعت فى أخيلتهم الجذور الطبيعية التى كانت طينتهم عجنت بها ، فاذا زرتم الصين رأيتم فى ضوء النور الكشاف (Flash Light) لدليلكم ، الألوان المصطنعة من الليمونية و الذهبية و الزرقاء على الكهوف الصخرية الجميلة المنصوبة على شاطىء نهر « بانكتر » والعجب كل العجب أن الصخرة الفطرية لا تسمح أن تبقى على صورتها الأصيلة ، و أحد الكهوف الفطرية قـد أضيئى بالأضواء المصطنعـة وسمى بـ « القصر البلورى (Crystal Palace) و يضاف إليه أن بعض المجانين كتب باللون القبيح على الحائط الصينى القديم لـ ٢٠٠ مليون سنة « عاشت صداقة الصين بالشعب الليتونى » و حينما تمشون على المدارج المرصفة التى

تغشى الصخرة الفطرية تجدون ترابيس لشاكلوته ملقاة بين أيديكم (١) .

لقد حارب مسلمو الفلبين الجنوبية الملقبون بـ « مورو » الامبريالية والحركة الاستعمارية ، وصمدوا فى وجهها ببطولة وجدية أكثر من أى بلد إسلامى آخر رغم بعدهم عن مهد الاسلام و مهبط الوحى و محط الرسالة الأخيرة الخالدة، ويحارب مسلمو الفلبين منذ أكثر من ثلاثة قرون ضـــد أعدائهم من الأسبان ثم ضـد الأمريكيين و الآن يناضلون ضد الاستعمار الفلبينى المسيحى وهو من رواسب الأمر الامبريالية الغربية .

من هم الأوربيون ؟ لو لم تكن أوروبا قد امتدت وتوسعت لكان الأوربيون و هم من سكان أوروبا محصورين فى أوربا ، لكن نرى - خلاف ذلك - أن الامبرالية الغربية مدت سلطانها على القارات الثلاث من أمريكا الشمالية و أمريكا الجنوبية و استراليا بإبادة سكان هـذه المناطق الأصليين ، أضف إلى ذلك أفريقيا الجنوبية و إسرائيل و هما - بلا شك - من غرس الاستعمار الأوربى و لا يسهل لغير الأوربيين أن يميزوا بين البيض من أفريقيا والاسرائليين فليسوا بمتفاوتين فيما بينهم لغير الأوربيين ، و لا ترى الأغلبية الساحقـة من الأوربيين أى فارق كبير و بون شاسع بينهم .

ليست الامبريالية ظاهرة حديثـــة . بل قـد مارسها اليونانيون ، و الروم و الآريون فى الهنـد ، على أوسع نطاق فى الزمن الغابر ، فاذا أراد المسلم المعاصر أن يطلع على القوى التاريخية التى قد دفعتها إلى هذا الموقف فلا مناص له من أن يكون على اطلاع من تاريخ الامبريالية الغربية لكى يعلم مدى تغلغلها على مر الأيام و هذه هى القصة المريرة و الطويلة لجميع أنحاء العالم المعاصر .

بدأت الروابط بين أوروبا و بقية العالم بانتهاء القرون الوسطى ، لما أرسلت

(1) « The Qustion Spirit of todys china » The « Sun » Lahor Oetuoer 25, 1977

خمسة بلدان أوربية البرتغال و أسبانيا و هولندا وفرنسا و بريطانيا - بعد ما اتخذت الطبيعة العدوانية فوق العادة - بعثاتها المكونة من المكتشفين و التجار و موسسى الامبراطورية و الارساليات المسيحيـــة إلى العالم الذى وصفوه بالعالم غير المتحضر وتوسعت هذه الصلات بين أوروبا و بقية العالم لدى انتهاء القرن التاسع عشر نتيجة للثورة الصناعية و الاجتماعيـــة ، و إذا أخفق غير الأوربيين أو غير البيض ، فى الاستجابة لهذه الثورة أو على الأقل لم يهيأوا مناخاً صالحاً وسوقاً نافقة لصادرات البيض كانوا ينكلون و يضطهدون و يرغمون بالقوة على أن يسلكوا نهجهم وينسجوا على منوالهم و إلا كانوا يواجهون الابادة عمداً ، لقد واجهت حضارات و ثقافات لا حصر لها ، هـــذا التيار الكاسح لأوربا المتزمة وتلاشت فوراً إما لأن معتنيقها أبيدوا إبادة منكرة ، و لم يبق لهم عين و لا أثر وإما لأن ثقافتها غمرت بسيل الحضارة الأوربية وعديد منها - فى العصر الحاضر - يواجه الانقراض، وتعمل وراءها تلك الأيدى الفعالة التى كانت عاملة قبل قرن .

إذ استعرضتم مجتمعات غير أوربية استعراضاً جديداً ستجـــدون نفس المنهج المعبد - لاتغيير فيه ولا حياد عنه - للهجوم وردود فعله ، حينما هجمت الحضارة الأوربية على تلك المجتمعات جاءت الاكتشافات والبحوث والاستيطان أولا وتلاها الاستغلال و احتلال الأراضى للمواطنين وإبادة السكان أو إخضاعهم لتغيير المنهج للحياة والملة إلى دين الفاتحين و شعائرهم ، ثانياً هذه العوامل كلها أدت - فى جانب آخر - إلى انطماس العنصر و الثقافـــة فى النهاية ، و من حسن الحظ أن سائر الأقوام غير الاوربية لم تسلك هذا المسلك الخطير ولو اندمج بعض منهم إلى الثقافة الغربية لكن الأغلبية الساحقة تجنبته و أبعدت نفسها عنه .

وجاءت الأمراض والأسقام حيثما استوطن الأوربيون بين القرنين الثامن عشر و التاسع عشر فى الأراضى المكتشفـــة المستعمرة المحتلة و من حيث المجموع ،

العديد من الشهادات تشهد أن أمراض الغزاة و القوى العاملة التى جاءت بهم كانت من العوامل الأساسية و فى بعض الأحيان من الأسباب القوية لهزيمة المواطنين وإبادتهم - لأن المواطنين ما كانت عندهم أية وسيلة طبيعية للمقاومة لأمراض كالجدرى و درن رئوى (Tuberculosis) والحصبة (Measles) و البرص - و كانت الخسائر بسببها مفجعـــة ، و ما كانت لديهم إمكانيات لحفظ الصحة و تضخيم السكان إلا بعض التدابير الفطرية أو الأدوية و العقاقير الحديثـــة التى كانت متداولة فى مقدار ضئيل ، و التأثير لهـذه الأسقام من الزكام و النزلة الوافدة و السعال و الحصبـــة و جدرى الدجاج التى نستهين بشأنها و لا نبالى بها ظلت خطيرة جـــداً للمشردين الذين ما كان لهم به من عهد من قبل فصاروا معرضين لأشـد أنواع من الأسقام وهنا شهادة لا تنكر أن المستعمرين الذين كانوا فى حاجة إلى الأراضى وجدوا فرصة سانحة مواتية لاحتلال أراضى المواطنين بقتلهم العلنى بأنواع من الأمراض والأسقام التى كانوا قاموا ببثها و تعميمها عمداً لتحقيق تصميماتهم المبينة ، و أسوق لكم مثالا أن فيروس الجدرى كانت تخلط بهدايا الأقمشة التى كانت توزع على المواطنين ، وحرب الجراثيم من هذا النوع مهما تكن من أخطارها و فظاعتها و قـــد أثبتتهـا الوثائق (Document) فى أمريكا الشمالية و استراليـا و أمريكا الجنوبية المعاصرة و بلغت الهمجية و الوحشية فى استراليا إلى هـذا الحد أن البيض من المستعمرين لجأوا إلى تسميم الأغذية و مياه الشرب التى استخدمها المواطنون .

وفشت الأمراض الزهرية (Syphlis) التى حالت دون الترقى و الازدهـار و ظلت بمثابة عرقلة كبيرة فى سبيلهما و باتت من الأسباب الرئيسية لتضعيف هؤلاء الناس الذين تعرضوا للحملات الشهوانية المتوالية من القادمين من وراء البحار والجنود و صيادى الأسماك و البحارين والتجار و أصيبوا بالتجربة القاسية المريرة التى يتندى لها جبين المروءة و الانسانية من قبل الأوربيين المستعمرين ، لأنهم لكونهم بعيدين

عن أوطانهم و نسائهم فى جنون السياحة لمدة سنوات و أعوام ، رووا - طبعاً - غلتهم الشوانية بالنساء - و لو كن كارهات - من العناصر المغلوبة على أمرها .

وما جاء الأوربيون من المستعمرين و المكتشفين و التجار بالأمراض فحسب بل أغروا المواطنين أيضاً بالخمور مقابل السلع المحليـــة - لكنها ثبتت مرضاً مبيداً خطيراً فى حقهم لأنهم لم يألفوها و لم يحتسوها من قبل ولكن لم تمض أيام قلائل إلا وقوبلت الخمور من « كن » و « وسكى » و « رم » و « واتن » و « بير » بترحيب و حماس بالغين - لأن الجرعة الواحدة كانت كافية لتأسر لبهم وتلتها ثورة فى أكثر الأحيان ، وبالاضافة إلى ذلك بدأت صحة المفتوحين تنحرف لنقض المواد الغذائية و زاد الطين بلة أن الأغذية غير المألوفـــة - فى أوربا - بدأت توزع على المفتوحين من المربى و الرغيف الأبيض و الشأى و السكر الأبيض و القهوة و الأرز المجلى الأبيض والمشروب من « كولا » و الأغذية المعلبة (Tinned Food) هذه كلها سببت تعميم الأسقام بين مستهلكيها لانعدام المعدنية والبروتين والفيتامينات و الدهنية اللازمة .

و أتمت الحكومة المستعمرة و حكامها تلك المشروعات التى قـــد بدأتها الارساليات المسيحية و المستعمرون و أنواع من الأمراض و الأسقام و الخطـــة الموثرة الأساسية التى احتضنوها لابادة المواطنين « الضارين » فيما يزعمون - كان نقلهم الجماعى إلى المناطق المجدبة المقفرة التى كانت غير صالحـــة للزراعة ، و التى لا يرضاها أى رجل من الرجال البيض أن يأخـــذها و كانت تلك المناطق بمثابة السجون كالخيام المركزية والمنطقة المحصورة المحددة أو موضع الصيانة أو « بندستان» أو سموه ما شئتم - و هـــذه المناطق الخصبة التى نزعت من المواطنين استوطنها المستعمرون من الرجال البيض و لكن المناطق المجدبة التى نقل إليها المواطنون إذا وجد أو عثر على أى منجم للزيت أو المعدنيات نزعت هى الأخرى منهم بدون رأفة و احتلها و استغلها البيض بدون أى تأخير .

« يتبع »

عودة الحضارة الاسلامية

و التحدى الأوربى

دكتور عبدالحليم عويس

إن قضية (عودة الحضارة الاسلامية) هى - فى المنظور التاريخى - قضية إسلامية بالدرجـــة الأولى . . إنها محاولة أصحاب انتماء ما أن يبرزوا انتماءهم إلى الوجود حاملين أصالتهم إلى عصرهم بالطريقة التى يرونها ملائمة للمزج بين الأصـالة و المعـاصرة .

لكن بعض أبناء الحضارة الأوربية ، يعالجون قضيـــة الانبعاث الاسلامى ، وكأنهم يدرسون حركة انبعاث قبائل التتار القادمة من وسط آسيا ، هدفها التدمير و الابادة . .

و إذا كان التاريخ يعيد نفسه ، ففى تلك التخوم التى تصل بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد عندما ظهرت حركات البعث الاسلامى سواء فى صيحات الأفغانى أو مقالات محمد عبده أو جهود عبد الرحمن الكواكبى ، أو نداء السلطان عبد الحميد (يا مسلمى العالم اتحـــدوا) فى هذا الظرف المماثل لظرفنا المعاصر ، تواطأت أوربا على تشويه كل دعوة للبعث الاسلامى ، و صورت الجماعات الدينية الاسلامية على أنها « شبكة من التنظيمات البربرية التى يغذيها حقـــد بربرى على الحضارة » كما اعتبرت حركة الجامعة الاسلامية بمثابة (الغول) المرعب الذى يشبه الخطر الأصفر ، و قد عزيت إلى الحركة الاسلامية كل ظاهرة مناهضة للامبريالية

حتى و لو كان مبعثها مشاعر محلية خالصة . . بل إن كلمة الجامعـــة الاسلامية) نفسها كانت تومى - فى رأيهم - بالتطلع الاسلامى إلى السيطرة ، و بأيديلوجيـــة عدوانية ، و بمؤامرة إلى نطاق عالمى (١) .

و على أحسن الفروض ، فان كثيراً من هؤلاء المتخوفين ، يدرسون ظاهرة عودة الحضارة الاسلامية ، و كأنها تشبه (عودة أهل الكهف) إلى الحياة بعد أن لبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين و ازدادوا تسعاً .

نعم . . إنهم ينظرون إلينا على أننا « أهل الكهف » لابالمعنى الحى المتحرك الممتد ، حياة الحقيقة الخالدة وحركتها و امتدادها . . و لكن بمعنى أن عصرنا قد فات ، و أننـــا حضارة مندثرة ، و أننا بقـــدر ما استيقظنا من سباستنا فى نصف القرن الأخير بقـــدر ما يجب أن نعود إلى النوم الأبدى ، ليبنوا فوق أجسادنا وأفكارنا ورسالتنا للبشرية الضائعة - كنيسة أو معبداً . أو بنكا من البنوك الدولية .

نعم . إننا أهل الكهف . . فنحن أصحاب عقيـدة مجاهدة لا يؤثر فيها الزمان و لا التراب ، و كم نمنا ، و كم استيقظنا .

لكننا من جانب آخر . . نعتبر كهفنا هو العالم كله . . و نحن - أمام الله - مسئولون عن كل ركن من أركان هذا الكهف ، أوبالتعبير الآخر : عن كل ركن من أركان هذه الحضارة الانسانية . .

إن حضارتنا حضارة متجددة تتمتع بديمومة الانبعاث .

و إذا جاز لنا أن نقبل ذلك الحصر المشهور الحضارات التاريخ البشرى الذى أوقفه « أرنولد توينبى » عند إحدى و عشرين حضارة ، اختار منها سبعاً فقط هى التى لا زالت فى رأيه تقاوم الأعاصير الزمنية ، و تلبس لكل عصر جلوداً مختلفة

(١) تراث الاسلام (شاخت - مكسيم رودنسون) ١/ ٨٥ سلسلة عالم المعرفة - الكويت .

لكى تمنح نفسها فرصة البقاء أو حسب تعبيره (تصنع الخمر الجديدة فى الاناء العتيق) و هذه الحضارات السبع هى (المسيحية الأرثوذكية) ، و الأرثوذكية الروسية ، و الاسلامية التى تضم الايرانية القديمة والعربية والهندوسية ، والصينية ، والكورية اليابانية ، و الغربية) . .

. . و إذا جاز لنا الأخذ بهـــذا الحصر ، فنحن نرى أنه ليس من التعصب القول - انطلاقاً من واقع التجربة التاريخية ، و المحتوى الفكرى - بأن الحضـارة الاسلامية من بين الحضارات الست الباقية هى وحـــدها المرشحة للبقاء ، و لقيادة المستقبل البشرى .

و ليست الحضارة المسيحيـــة - كما يذهب إلى ذلك توينبى - نداً للحضارة الاسلامية (١) .

فالواقع أننا لا نرى أمامنا شيئاً اسمه « الحضارة المسيحية » حتى و إن رأينا « حضارة مادية » يحمل أصحابها (هويات) مسيحية ! ! بل إننا كنا نتمنى أن تكون ثمة (حضارة مسيحية) لأن هذا كان سيساعد (الحضارة الاسلاميـــة) و يسهل مهمتها فى التاريخ ، بل الذى ندركه بيقين أن (الحضارة الأوربية قامت على أسس جوهرية تختلف فى أبجدياتها الفكرية عن المسيحية الأم .

و هذه الحضارة ، منذ عصر النهضة الذى حمل رايتـــه ثائرون على المسيحية مثل (ميكيا فيللى) و جان جاك روسو ، و فولستير ، و مونتسكيو ، و فيكو ، و دوشسن - حتى برتراند راسل صاحب كتاب (لماذا لست مسيحياً) . . هذه الحضارة لم ترشح فى أى مرحلة من مراحلها بأى أساس من أسس التصور المسيحى فضلا عن أن يظهر فيها أى صدى للروحانية أو المحبة المسيحية .

(١) حضارة الاسلام فى دراسة توينبى / فؤاد شبل ٣٨

و ليس ما يسميه (توينبى) بالحضارة المسيحية الأرثوذكية ، و الأرثوذكية الروسية ، إلا أشباهاً باهتة فقدت روحها التى استقتها من دين سماوى ، كان يوماً ما ، و لمدة وجيزة ، سبقت بجمع ثيفية ٣٢٠م - ديناً صحيحاً و قادراً على بعث الادارة الحضارية ، و قد آل أمر هاتين الحضارتين على الانضواء تحت راية الحضارة الأوربية التى لا تجعل لله ، و لا للمسيحية أو الأديان كلها مكاناً فيها . . . وما يقال عن مصير هاتين الحضارتين يقال أيضاً عن الهندوسية والصينية والكورية اليابانية . . فهى كلها حضارات راكعة الآن أمام الحضارة الأوربية بشقيها الغربى الرأسمالى و الشرقى الشيوعى ، و هى لا تملك أية طاقة مقاومة ، بل لعلها لا تريد المقاومة ، كما أنها لا تملك البرنامج الانسانى القادرعلى احتواء العقل المعاصر وترشيده(١)

و إذا كان المهم ليس فهم العالم - كما يقول جوتة - بل المهم تغييره ، فان هذه الحضارات الخمس الباقية كلها لا تملك الامكانية ، و هى لا تسعى كذلك - لتغيير العالم ، وهى بالتالى - تبدو و كأنها حضارات خارج دائرة الصراع الحضارى المعاصر .

و ليس فى الساحة المتصارعة إلا الحضارة الأوربية ، التى خلقت الحضارة الهيلينية فى خصائصها و أسلوب احتوائها و عالميتها ، و إلا الحضارة الاسلامية التى تحاول بجهد و بطء إعادة صياغة الحياة ، و بناء الانسان وفق نظرياتها للكون و الانسان ، و ما وراءهما .

و فى قوانين الحضارة أن الامكانية الذاتية التى تكفل القدرة على الاستجابة

(١) يذهب توينبى إلى أن الحضارة الاسلامية هى - أيضاً - فى طور الانحلال أمام الحضارة الغربية التى تحاول ابتلاع جميع الحضارات السابقة ، و لعل هذا من أخطاء توينى فهو لم يستطع الوصول إلى الأعماق الحقيقية للحضارة الاسلامية (انظر منح خورى التاريخ الحضارى عند توينبى ص ١٢ طبع بيروت) .

الملائمة للتحديات هى التى تحدد مصير أية حضارة فى التاريخ ، و بالتالى فان قضية (البعث الحضارى الاسلامى) تمثل قضية (بنية) هذه الحضارة .

و تلك مسلمة من المسلمات التى لا يجوز أن تغيب عن مفكرى الحضارة الغربية ، الذين يبنون مجدهم على التشدق بالموضوعية و العلمية . . . و إن كان موقفهم من قضية انبعاث الحضارة الاسلامية ينم عن انفعالية لا أخلاقية و حقد تاريخى و سقوط فكرى غريب .

ولقد أكدت التطورات الأخيرة التى أظهرت حقيقة الطاقة الاسلامية الكامنة فى العالم الاسلامى ، هذا الموقف الأوربى (اللا أخلاقى) الممعن فى الروح الصليبية ، لا على المستوى السياسى - فحسب - و ما يتبعه من أجهزة علنية و غير علنية ، بل على المستوى الفكرى الذى جعل الصحافة الغربية تتداعى من كل مكان محذرة من أخطار أن يقوم (المحمديون) من كهفهم ، أو كما يقول صحافى انجليزى يدعى (بير غرين و ورستون) فى الصندای تلغراف : « إنه يرث هؤلاء المسلمون العالم كله بدون أن يتبنوا أياً من المبادىء أو التجارب أو الممارسات التقدمية ، و بدون أن يتركوا المبادىء والممارسات التى تعوق التقدم كالرجعية الدينية المظلمة ، والقسوة و الكبت ، و الفساد ، و الكسل » .

« و هذه معضلة - كما يقول الكاتب - ان يجد لها الغرب الحل الصحيح والملائم إلا إذا تفهم أبعاد هذا الخطر الجديد ، و يجب أن يكون من بين الحلول التى يلجأ إليها الغرب - كما يقترح الكاتب - احتمال استعمال القوة المسلحة (١) ».

وإلى هذا الحد يخاف الغرب من انبعاث الحضارة الاسلامية و يتربص بها الدوائر . .

و الله غالب على أمره .

(١) الصندای تلجراف اللندنية عدد ١٧/ ١٢/ ١٩٧٨ (نقلا عن الدعوة المصرية عدد ٤٠٧).

نشتم الأتراك و نترسم خطاهم

الدكتور نعمان السامرائى
جامعة الامام محمد بن سعود - الرياض

الدارس لتاريخ العرب و الأتراك فى العصر الحديث يستوقفه أمر غريب ، فالعرب ما زالوا ينقدون الأتراك و يرمونهم بشتى التهم ، لكنهم فى نفس الوقت يقلدونهم فى كل ما قاموا به . .

فالأتراك بعد أن منيت جيوشهم بهزائم متلاحقة فى أوربا و خارجها ، حملهم ذلك على إعادة النظر فى جيوشهم ، فغيروا النظام و حلوا جيش الانكشارية وقتلوا بعضه ليتخلصوا منه ، ثم جلبوا السلاح له من الغرب و كـــذا المعلمين ، إلا أن الهزائم تلاحقت و توالت ، فتقدموا خطوة و قالوا : لابد من أخذ السلاح ومعه أفكار أصحابه ، و مع ذلك لم يتبـــدل الحال فقالوا : سبب ذلك التعليم ، فراحوا ينقلون عن الغرب وسائله فى التعليم ، و لكن دون جدوى .

فالتفتوا إلى التشريع و راحوا يسربون القوانين الغربية شيئاً فشيئاً ، حتى إذا لم يجدوا فى كل هذا علاجاً لحالهم نادوا بالقومية ، و كان هذا أغرب تصرف لهم ، فمنهم الحكام ، وتحت سلطتهم أكثر من قوميـة ، والخوف على تلك القوميات منهم و ليس العكس ، و لكنه التخبط ، و كان رد الفعل هيجان تلك القوميـات بعد ما نفخ فيها الغرب من روحه الشريرة .

الدّعوة الإسلاميّة

حتى إذا قامت الحرب العالمية الأولى أثمرت تلك الشجرة الملعونة (القومية) ثمرتها المرة ، فانحـاز العرب إلى جانب الغرب ، فعجلوا بسقوط الدولة التركية العثمانيـــة .

وحين وجـــد الأتراك كل ذلك لم ينهض بهم فى كبوتهم ، راحوا يجربون الاصلاحات الدستورية ، و هنا وجد الغرب ضالتـــه فى أحد أبناء يهود الدونمة فأسروا له أن عليه أن يعلن العلمانيـــة و هم يتكفلون باصلاح الأحوال و رد كل كيد خارجى عنه . فألغى الخلافة وأعلن العلمانية وشن الحرب على الاسلام والمسلمين و كلفه ذلك تعليق الألوف من العلماء على أعواد المشانق ، و حكم البلاد بالحديد والنار ، ثم راح الرجل يسلخ الدولة عن كل صفة إسلامية حتى منع الأذان بالعربية و كذا قراءة القرآن ، ثم أغار على الدساتير الغربية وقوانينها ليأخذها كحاطب ليل ويتبناها ، متصوراً هذه الدساتير والقوانين كالملابس تغير ملامح الناس فى الحال .

كما أعلن رأسمالية الدولة و خروج المرأة المسلمة سافرة و أباح تزوجها من غير المسلم ، و أمر بلبس القبعات و حرم العمائم إلى غير ذلك من الترهات .

و كرت الأعوام و ذهب « يهودى الدنمـا » مـذموماً مـدحوراً ، و مات شر موتة ، سكران لا يفيق ، و ينبح نباح الكلاب ، و خلفه من سار على نهجـه ولـكن عادت تركيا أخيراً لتستكمل حلقات النقل عن الغرب ، فأخذت « ديمقراطية » و هى كما يبدو آخر قارورة علاج فى « فاتورة » الغرب ، فماذا كان أو صار حال تركيا بعد هذه الرحلة الشاقة الطويلة !

لقد انتهت إلى دولة لا هى بالشرقية ولا بالغربية ، حكامها تطوف حول أصنام الغرب ، وشعبها ما زال يتعلق بالاسلام و يتطلع للشرق لاضطرابات تعم الولايات ، والأحكام العرفية بالكاد تضبط الناس ، و الثورات كالبراكين لا يدرى أحـد متى تثور و لا متى تهدأ .

أما الأحوال الحالية فكما قال أحد الوزراء أنهم مدينون إلى (٢٢٣) مؤسسة و المبانع تصل إلى (٤٠٠٠) بليون دولار ، و ليس هـذا فقط بل هم بحاجة إلى (١٦/٠٠٠) بليون دولار لتسيير أمورهم . . والليرة التركية التى كان كل (٥) منها تساوى دولاراً أمريكيا ، أصبح اليوم و كل (٤٨) منها تشترى بدولار ، هـذا فى السوق الرسمية .

هذه حال الأتراك وبعض حالهم بعد تجربة قاسية ، ذهب بسببها ألوف الشهداء .

و اليوم نجد العرب يعيدون التجربة التركية حرفياً ، و لـكن كل دولة تأخذ بطرف ، حتى ليمكن القول إنهم لم يستوفوا بعـد كل ما قامت به تركيـا ، فهل يتوقع العرب مستقبـلا أفضل من مستقبل الأتراك ، و خراباً و دماراً أقل مما لاقاه الأتراك ؟ ؟ بعض العرب أو جلهم يعيش على النفط ، ومهما طال عمر هـذه الثروة فهى على نفاد ، فاذا هم لم يصلوا اليوم إلى الافلاس التركى ، فسيصلونه غداً .

فالى كافة « العميان » الذين ما زالوا يقلدون الأتراك أقول : انظروا إلى حاضر هؤلاء و تصوروا مستقبلكم أنتم ، فأنتم تسيرون على دربهم و تترسمون خطـاهم ، و السعيد من اتعظ بغيره .

حرام يا حـكام العرب أن تجعلوا من شعوبكم حقل تجارب ثبت فشلها وراح يقلع عنها أصحابها ، بينما أنتم عاكفون عليها متمسكون بها .

الدعوة إلى الخير

مفهومها و مقتضياتها

السيد جلال الدين العمرى

تعريب : محمد أجمل أيوب الندوى

قال الله عز وجل فى سورة آل عمران يأمر أهل الايمان :

« و لتكن منكم أمـــة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون » (١) .

قد وصف الله تعالى فى الآيات السابقة بنى إسرائيل بأنهم قد نبذوا دين الله وراء ظهورهم كما أنهم يبذلون جهودهم لصد غيرهم عنه ، مما جعلهم بمعزل عن الهداية الربانية ، غير مستحقين لحب الله تعالى و رحمته ، ثم أمر المسلمين بأن يتقوا الله حق تقاته ، و لا يموتن إلا و هم مسلمون ، و أن يكونوا يداً واحـــدة فى وجه الباطل ، و يعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا يتفرقوا فتذهب ريحهم ، و هذه الصفات كلها تتصل بحياتهم الداخلية ، أما العمل الذى يقومون به فى خارج المجتمع الاسلامى فنص عليه فى الآية التى بدأنا بها هذا المقال ، و هو أن يدعوا الناس إلى الخير ، و يأمروهم بالمعروف . وينهوهم عن المنكر ، و بذلك قال المفسرون ، و هنا ننقل ما صرح به اثنان من كبار المفسرين ، فقال الامام الرازى :

« اعلم أنه تعالى فى الآيات المتقدمة عاب أهل الكتاب على شيئين ، أحدهما أنه

(١) آل عمران الآية : ١٠٤

عابهم على الكفر . . ثم بعد ذلك عابهم على سعيهم فى إلقاء الغير فى الكفر . . فلما انتقل منه إلى مخاطبة المؤمنين أمرهم أولا بالتقوى والايمان . . ثم أمرهم بالسعى فى إلقاء الغير فى الايمان و الطاعة » (٢) .

و قال العلامة السيد محمود الآلوسى :

« أمرهم سبحانه بتكميل الغير ، ثم أمرهم بتكميل النفس ليكونوا هادين مهديين على ضد أعدائهم ، فان ما قص الله تعالى من مآلهم فيما سبق يدل على أنهم ضالون مضلون » (٢) .

المهمة التى شاء الله عز وجل أن يلقى أعباء القيام بها على عواتق الأمـــة الاسلامية عبرت عنها الآية الكريمة بمصطلحين : أحدهما الدعوة إلى الخير ، والآخر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر .

مفهوم الدعوة إلى الخير :

أما الدعوة إلى الخير فان المراد من الخير الذى كلفت الأمة الاسلامية الدعوة إليها هو دين الله الذى أنزل به محمد ﷺ ، و ما آتاه تبارك و تعالى من العقائد و النظرات و أصول العبادات و نظام الحياة و مبادى السياسة و الأخلاق ، و هو الخير ، و هو الذى فرض الله تعالى على الأمة الاسلامية أن تدعو إليـــه العالمين . و مقياس الخير و الشر عندها هو دين الله وحده ، فكل ما فى دين الله هو الخير وكل ما دون ذلك هو الشر ، ولا يجوز لها أن تنظر إلى فكرة أجنبية بعين الاعجاب و التقدير و لا أن تدعو إليها الناس ، فهى تنظر إلى ما فى العالم كله من الديانات و نظم الحياة و طرق المعيشة كألوان مختلفة من الشر ، و إنما وجـــدت الأمة

(١) مفاتيح الغيب (طبعة مصر ١٣٠٨هـ) ٣ : ١٩

(٢) روح المعانى (الطباعة المنيرية مصر) ٤ : ٢٠

الاسلامية فى هذا الكوكب الأرضى لمحاربتها والقضاء عليها ، وإقامة دين الله وإظهاره على غيره .

فالدعوة إلى الخير لا تعنى الدعوة إلى جزء من أجزاء الدين ، و إن الأمة الاسلامية لن تتخلى عن واجبها ما دامت لا تنهض بالدعوة إلى الدين بأسره ، فان قامت بالاصلاح الخلقى أو الانقلاب السياسى حسب ، أو وقفت جهودها على تلقين العبادات أو إصلاح الشئون الاجتماعية لا غير فان تؤدى حق الدعوة إلى الخير . و مما لا مجال للشك فيه أن كل عمل من هذه الأعمال عمل دينى و هو لا يخلو من جزء من الخير ، و لكن الأمة الاسلامية لم تكلف الدعوة إلى الخير الجزئى . و إنما هى مأمورة بالدعوة إلى الخير ، بأجمعه ، كما يتبين من كثير من آيات القرآن الكريم . فقال الله تعالى بعد ذكر إبراهيم و إسحاق و يعقوب صلوات الله عليهم .

« و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و كانوا لنا عابدين » (١) .

أطلقت كلمة الخيرات فى الآية الكريمة على الأعمال التى أمر الله تعالى رسله و أنبياءه بالقيام بها ، و من الواضح أن أعمال الخير التى كانت توحى إليهم كان نطاقها واسعاً جداً ، فكانت تشمل العبادات و الأخلاق والمعاملات كلها ، وهى التى تسمى الدين و الشريعة ، و يتبين من ذلك أن كلمة الخيرات أطلقت على الشريعة الكاملة التى ينزل الله بها رسله الكرام و تكون حياتهم نموذجاً حياً و مثلا شاخصاً لها ، قال العلامة البغوى فى تفسير الآية الكريمة :

« و جعلناهم أئمة (يقتدى بهم فى الخيرات) يهدون بأمرنا (يدعون الناس

(١) الأنبياء الآية : ٧٣

إلى ديننا) و أوحينا إليهم فعل الخيرات » (يعنى العمل بالشرائع) (١) .

و فسر الخازن أيضاً « فعل الخيرات » « بالعمل بالشرائع » (٢) و يدل ذلك على أن « الخير » مرادف للشريعة الالهية ، وهذا الخير هو الذى أمر الأنبياء بفعله ، و هو الذى كانوا يمثلون فى حياتهم أصدق تمثيل و أكمله ، و هو الذى كانوا يدعون إليه ، وهو الذى رفعهم إلى درجة الأبدية الرفيعة فكانوا من العابدين .

و نتدبر - لفهم معنى الخير - آية أخرى من سورة المائدة . و هى تتحدث عن اختلاف الشرائع ، فكان دين الله فى روحه و أصله دائماً ديناً واحداً لم يتغير قط ، و لكن الشرائع اختلفت باختلاف العصور ، فكانت الشريعة التى آتاها الله تعالى بنى إسرائيل قد تبدلت بعد بعثة النبى ﷺ الذى نزل بشريعة جديدة ، واختلاف الشريعة لا يعنى اختلاف الدين أبداً . و مما يقتضى التوحيد و يوجبه أن يكون الانسان فى كل عصر مستعداً للخضوع للشريعة المتجددة ، ومن لا يرضى بالتخلص من الشريعة السابقة بعد نزول أختها الجديدة فهو يكفر بمنزلها سبحانه . فقال تعالى .

« لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا . . فاستبقوا الخيرات » (٣) .

المقصود باستباق الخيرات فى الآية الكريمة هو العمل بالشريعة التى نزل بها محمد ﷺ فان النجاة منوطة باتباعها لا غير ، يقول ابن كثير فى شرح قوله تعالى « فاستبقوا الخيرات : » .

« و هى طاعة الله و اتباع شرعه الذى جعله ناسخاً لما قبله و التصديق بكتابه

(١) معالم التنزيل المطبوع على هامش الخازن : ٢٤٥٤
(٢) لباب التأويل فى معانى التنزيل (مطبعة التقدم مصر ٣٤٩ هـ) ٤ : ٢٤٥
(٣) المائدة الآية : ٤٨

القرآن الذى هو آخر كتاب أنزله » (١)

و يقول العلامة السيد محمود الآلوسى :

« فسارعوا إلى ما هو خير لكم فى الدارين من العقائد الحقـــة و الأعمال الصالحة المندرجة فى القرآن الكريم » (٢) .

و قال العلامة نظام الدين القمى النيسابورى :

« يعنى بالخيرات هاهنا ماهو الحق من الاعتقادات والمحقق من التكاليف» (٣)

هذه الأقوال كلها تدل على أن استباق الخيرات يعنى المسابقـــة فى عبادة الله تعالى و طاعة نبيه ﷺ و اتباع أحكام الشريعة ، فقد استوعبت كلمة واحدة و هى « الخير » نظام العقائد و الأعمال بحذافيره مما نزل فى صورة « القرآن الكريم »

و ذلك هو الخير الذى أمرت الأمة المسلمة بدعوة الناس إليها

و لنرجع إلى الآية الكريمـــة التى أمر الله فيها بالدعوة إلى الخير ، ولننظر ما فسرها به النبى ﷺ و الصحابة و التابعون و العلماء المفسرون رضى الله عنهم .

تفسير النبى ﷺ للخير .

روى أبو جعفر الباقر رضى الله عنه عن النبى ﷺ تلا الآية الكريمـــة « و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير» فقال : « الخير اتباع القرآن وسنتى » (٤) .

فالدعوة إلى الخير تعنى الدعوة إلى الكتاب والسنة ، فان قامت الأمة الاسلامية بدعوة أخرى غير الدعوة إلى الكتاب و السنة ، فهى ليست بدعوة إلى الخير ، ولن يعد

(١) تفسير القرآن العظيم (مطبعة مصطفى محمد مصر ١٣٥٤هـ) ٢ : ٦٧

(٢) روح المعانى ٦ : ١٠٤

(٣) غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، على هامش ابن جرير ٦ ١٣٥

(٤) فتح القدير (مصر ١٣٤٩هـ) ١ : ٣٣٨

عملها من أعمال الدعوة إلى الخير .

تفسير السلف للخير :

نقل أبو حيان الأندلسى أقوال التابعين و آراءهم فقال :

« الخير هو الاسلام ، قاله مقاتل ، أو العمل بطاعة الله ، قاله أبو سليمان الدمشق . أو الجهاد و الاسلام » (١) .

و فسر العلامة البغوى « الخير » بالاسلام (٢) و به فسر كتاب الجلالين ، ومن الملاحظ أن الاسلام ليس المراد منه جزءاً من أجزائه أوطاعة الله تعالى فى أمر معين من الأمور بل المقصود به دين الله بأجمعه ، و طاعة الله تعالى فى أمور الحياة كلها و إنما أمرت الأمة الاسلامية بالدعوة إلى هذا الدين الكامل الشامل ، قال العلامة الصاوى فى شرح تفسير الجلالين :

« إنما قصره عليه لأنه رأس الأمور » (٣) .

و قد أوضحه المفسر الكبير الامام جرير الطبرى أيضاحاً بالغاً فقال :

« و لتكن منكم أيها المؤمنون أمة ، يقول جماعـــة يدعون إلى الخير يعنى إلى الاسلام و شرائعه التى شرعها الله لعباده » (٤) .

و يقول أبو حيان الأندلسى :

« الدعاء إلى الخير و هو عام فى التكاليف من الأفعال و الثروات » (٥) .

و يقول القاضى البيضاوى :

(١) البحر المحيط (مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨هـ) ٣ : ٢٠

(٢) معالم التنزيل (المطبوع على هامش الخازن) ١ : ٢٣٤

(٣) حاشية الصادى على تفسير الجلالين (المطبعة الأزهرية مصر ١٣٤٧) ١ : ٥٢

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن (المطبعة الميمنية مصر ١٣٢١هـ) ٤ : ٢٤

(٥) البحر المحيط ٣ : ٢

« الدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح دينى و دنيوى » (١) .

و بذلك فسر الامام أبو السعود و العلامة السيد الآلوسى ، و هذا الصلاح الدينى و الدنيوى الذى كلفت الأمة الاسلامية الدعوة إليه يتضمنه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، و إن العقائد و الأعمال التى نص عليها ، و أرشد إليها كتاب الله و سنـــة رسوله هى التى تضمن الصلاح و الفلاح ، و ما دون ذلك من مذهب و فكرة و رأى و عمل كله فساد وضلال وظلمات بعضها فوق بعض ، و ذلك هو الذى عناه المفسرون ، ويسمى الشيخ إسماعيل الحقى الصلاح الدينى والدنيوى « تكليفاً شرعياً » والتكليف الشرعى لايثبت إلا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، يقول الشيخ .

(و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير) « جماعـــة داعية إلى الخير أى إلى ما فيـــه صلاح دينى و دنيوى فالدعاء إلى الخير عام فى التكليف من الأفعال و التروك » (٢) .

يتبين مما أسلفنا أن ما أثبته القرآن الكريم و نص عليـــه ، و ما فسر به المفسرون كلهم هو أن الدعوة إلى الخير مرادفة للـــدعوة إلى الاسلام و مما لا شك فيـــة أن تكليف الأمة الاسلاميـــة الدعوة إلى الخير لا يمكن أن يعنى مجرد مدح الاسلام وإطرائه بين أيدى الناس أو تأليف كتاب يثبت أنه هو الدين الحق فلن تستطيع الأمة الاسلامية أن تؤدى حق هذه الدعوة إلا إذا وقفت نفسها لنشرها و تبليغها ، و استخدمت جميع طاقاتها و كفاءاتها لاقامتها و تمكينها ، فيجب عليها أن تبذل كل ما فى وسعها لنيل هذا الهدف المنشود ، فتكون فى سبيله سلمها و حربها و حياتها و موتها .

(٣) أنوار التنزيل و أسرار التأويل : تفسير سورة آل عمران .

(٣) روح البيان (دار الطباعة العامرة استانبول ١٢٨٥هـ) ١ : ٣٥٢

ماذا يقول التراكى ؟

المقدم والمترجم : أبو عمر عبد العزيز النورستانى

وزعت حركة الخلافة الاسلامية النورستانية هذا الملخص لخطاب حاكم أفغانستان الشيوعى نورتراكى فى اجتماع حضره مائتا عضو من الأعضاء الشيوعيين المسئولين عن حزب خلق و برجم : .

سيداتى و سادتى

عليكم أن تعرفوا الأحزاب المعارضة للشيوعية الماركسية ، و أن تستخدموا ضدها الوسائل التى بينها السيد ماركس . . و أقول بالصراحة إن أهم العوائق وأضرها لتوسيع جوانب الشيوعية . هى الاسلام أولا ، والرأسمالية والملاكية ثانياً .

أيها الأخوة :

أنتم المثقفون أبناء الشيوعية فى أفغانستان ، فعليكم أن تستخدموا العوامل المؤثرة ضد الاسلام و المسلمين ، كما أن السيد لينين و السيد ماركس قالا فى تعاليمهما أن توسيع جوانب الشيوعية عبارة عن استخدام الطرق المؤثرة ضد الاسلام و المسلمين .

و من المسائل المهمة استخدام العوامل المؤثرة ضد العدو و الظفر عليه وإذا أردتم أن تداوموا العدوان ضد الاسلام و المسلمين ، فعليكم أن تنظروا إلى العوامل التى تفيدكم و التى لا تفيدكم ، و أطلب منكم أن تستخـــدموا على الفور العوامل الموضحة الآتيـــة :

(١) القوة السياسية ، و الانتظامية .
(٢) العلماء الذين لهم اتجاهات شيوعية .
(٣) جهالة العوام ، و فقرهم ، و تعصباتهم القومية ، و اللسانية .
(٤) الجوانب الرديئة من الاعتداءات السابقة .
(٥) نصرة الشقيقة روسيا .
(٦) غير ذلك من العوامل المفيدة .

و العوائق التى هى ضد الشيوعية فى أفغانستان ما يلى :

(١) الاسلام .
(٢) الملكية الفردية و الرأسمالية .
(٣) العوام .
(٤) محبو الوطن و الحرية .

و سأحدثكم بمعلومات لازمة عن هذه العوائق .

و من المعلوم أن أهم مرامنا و أوله إذهاب الاسلام من البلاد لأن الشيوعية قائمة على فلسفتها المادية ، و من أساس الشيوعية أن تنكر الدين و المذهب ، وإن الشيوعية فى فلسفتها تتصور أزلية المادة و أبديتها ، و أيضاً تعتقد أن المادة ليس لها خالق و لا هى زائلة ، و تعتقد أن ليس للدنيا و ما حولها خالق .

و من أهم فرائضنا إذهاب الاسلام من قلوب المسلمين جميعا رجالا كانوا أو نساء ، صغاراً كانوا أو كباراً ، و لكن هذا أمر صعب .

و لهذا الأمر عوامل و تجارب . إن استخدمنا هذه العوامل و التجارب ستنجح ، و هى :

إظهار الاسلام و مدحه قولا ، و استئصاله فعلا ، و عليكم أن تعملوا ضد

الاسلام و المسلمين طبقاً لقانون الشيوعيين ، و سأطلب لكم دستور العمل من الروسية ، و سنستخدم العوامل التى يرشدنا بها قائدو الروسية لأنهم مثقفون بتعاليم لينين و ماركس و لأن الشيوعية أخذناها منهم ، و هم أرشدونا أن نعلن الاسلام و نصفه قولا ، و أن نذهبه من البلاد بتشديخ و ترضيخ .

وقد استخدمنا لحصول هذه المهمة كل وسائل الاعلام من الراديو والتلفزيون و الجرائد و غير ذلك ، و سنوضح جملة منها :

(١) نقول فى الراديو : نحن المسلمين وأبناء المسلمين ، نحترم الاسلام و شعائره وأهله ، ونحن حزب الشيوعية المسلمة ، لأجل ذلك أجزنا تلاوة القرآن فى برامج المذياع ، لكن نحرق القرآن ونجعله تحت أقدامنا عملا ، و معلوم من دستورنا الأساسى أنا لن نلحق أحداً فى حزبنا الشيوعى إلا بعد تعليم مدة و اختياره بجعل القرآن تحت قدمه .

(٢) نعلن بالراديو أن الدين الاسلامى دين مقدس و نحن محافظوه ، و لكن نذهب من البلاد العلماء الذين يعتقدون الاسلام بالقبض و الحبس و الاعدام و نعلم فى الجامعات و الكليات و المدارس أن تعليم الشيوعية ضد تعليم الاسلام ، وسعينا أن نختم لسان القرآن عن الجامعات و الكليات و المدارس كى ينقطع تعليم الاسلام و أفكاره عن النسل الانسانى .

(٣) نفتتح حفلاتنا بالقرآن ، و نهدم المساجد و المآذن و المنابر التى تعلو أصوات القرآن فيها بالقنابل .

(٤) نأخذ اسم الاسلام بالأفواه و لكن نعمل على الارهاب الذى يكون رعبة فى قلوب الناس إلى مدة ، فعليكم أن تداوموا على الارهاب فى البلاد والمدن و القرى و النواحى بالسرعة السريعة ، و عليكم أن تعرفوا مواقف العلماء

لمبارزة الاسلام ، لأن الماركسية تحكم علينا أن نعمل عمل المبارزة ، فلذلك يجب علينا أن ننظر مواقف العلماء بنظر عميق و نلتفت إليها التفاتا تاماً .

و اعلموا أن العلماء فى هذا الوقت على خمسة أنحاء :

(١) قسم منهم عرفوا الاسلام بأعلى مستوى علمى و طالعوا الاسلام بمطالعة عميقة حتى وصلوا إلى أسراره و غوامضه ، فلذلك يبارزوننا و يحثون العوام علينا .

(٢) الذين لم يعرفوا الاسلام بأعلى مستوى علمى و لكن لهم تعصبات إسلامية فلذلك يكونون لنا أعداء .

(٣) الذين يعيشون فى المدن والقرى والنواحى بانصات واسكات وخمول لايعرفون من الاسلام إلا جوانب العبادات .

(٤) الذين لهم تعصبات مذهبية يكونون كل حين فى تكفير من خالفهم وتفسيقهم .

(٥) الصوفية و أصحاب الزوايا و السجادات الوراثى .

و عليكم أن تنبهوا مراكز الشرطة عن القسم الأول و حاذروا فى القبض عليهم من تشويش العوام و تظاهراتهم حتى لا يتعكر الجو . وعليكم أن تستخدموا العلماء الذين هم خلاف هؤلاء عقيدة ونظراً و هذه من أحسن العوامل . وطمئنوا المفكرين بالمعونات المادية و الطمع و اجعلوهم أداة للتنفيذ

وأما القسم الثانى من العلماء فعليكم بالصبر والتحمل أمامهم لئلا تفسد البيئة . وإن حاولوا إفساد البيئة فافرغوا منهم و من وافقهم بتدابير خطيرة من قتل وقتال و تحريق ونهب وسلب وتمرع حتى لا يستطيعوا اظهار الفكر فيما بينهم .

وأما القسم الثالث من العلماء فتستطيعون أن تستخدموهم على مرامكم بالاعطاء تارة و التخويف أخرى ، و الاطماع فى سعة المعاش ، و التولية بالمناصب المرتفعة لأنهم يكونون طماعاً .

و أما القسم الرابع من العلماء فخشوهم على من خالفهم بالأطماع على تولية المناصب العالية .

وأما القسم الخامس نادوا لعمل مبارزة بالتدريج لأنهم يكونون أكالين معروفين .

أيها الاخوة !

مبارزتنا هذه ضد الاسلام تحيط عامين . وبعد ذلك نبلغ قوامنا وعند ذلك نستخدم العوام الأخرى ضد الاسلام .

و بهذه العوامل نستطيع أن نختم الاسلام عن المدن و القرى و النواحى البعيدة و لا يبقى عند ذلك أى حركة من حركات الاسلام ضد الشيوعية ، و قد أفهمتكم أن مبارزتنا ضد الاسلام بطريقتين :

(١) الخداع باسم الاسلام .

(٢) استئصاله .

و قد بينت طريقة سير العمل فى الأولى المطابقة لفكر ماركس ولينين .

وعلى رفقائنا أن يرسخوا فى أذهانهم أن المبارزة ضد الاسلام من أهم المسائل الأساسية الشوعية لأن موقف فلسفة المادية الماركسية إنكار الرب والمذاهب فمبارزته ألزم و أوجب علينا من كل شئ حتى من الرأسمالية و الملاكية

هذه نبذة مما ألقاه الغاشم المغتصب الفاتك نور تراكى فى اجتماعه الذى عقده لتفهيم أعضائه الشيوعيين طريقة حربهم للاسلام و المسلمين . فقام أمام هذه التيارات الشيوعية مسلمو أفغانستان من كل ناحية خصوصاً من ناحية نورستان فأقاموا تشكيلات عسكرية و قومية تحت لواء الاسلام ضد هذه الحكومة الكافرة بقيادة رجال العلم والفكر من علماء السلفيين وقائديهم ، فحمل قيادة العوام الأستاذ محمد أفضل و الأستاذ فقير الله ، و قيادة العسكر السيد جنرال عبيد الله ، و قامت الحكومة

الشيوعية الكافرة فى أول غارة على المسلمين بسبع و عشرين طائرة تقذف القنابل لمدة ثلاثة أيام متواليات تعاونها الدبابات و المدافع و الصواريخ و الرشاشات و غير ذلك من الأسلحة الحربية ، و أحرقوا الغابات و القرى بالرشاشات و الغازات . . و قاوم المسلمون هذه الغارات بالعصى و الفؤوس و الأحجار و أشياء من قذفية و يدوية فنصرهم الله نصراً عزيزاً و أبلوا أنفسهم فى سبيله بلاء حسناً فقتلوا من الشيوعيين ألوفا و أسروا ألوفا و أخذوا منهم من كل أصناف السلاح حتى مدافع الهواء و الصاروخات و الرشاشات و الدبابات و المدافع الثقيلة و الخفيفة ، إلا أن المسلمين فى ضنك شديد لقلة الرصاصات والمادة المتفجرة لأن السلاح لا شئ عند عدم وجود الرصاصات و القنابل ، والحرب مستمرة منذ بدأت و الهجوم العدوانى مستمر على مسلمى أفغان كسرب الجراد على الحقول فى كل الأنحاء معنوياً و فى ناحية نورستان مادياً و معنوياً .

من أجل ذلك نستصرخكم أيها المسلمون ، فعليكم أن تساعدونا كى نقوم أمام هذه الحكومة الكافرة الغاشمة الشيوعية و نحرر الاسلام و المسلمين فى أرض أفغانستان و نسأل من إخواننا محطة إذاعية كى نستطيع ابلاغ الصوت إلى إخواننا فى شتى أنحاء العالم الاسلامى .

و أخيرا نذكركم قول تبارك و تعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى » « وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر » .

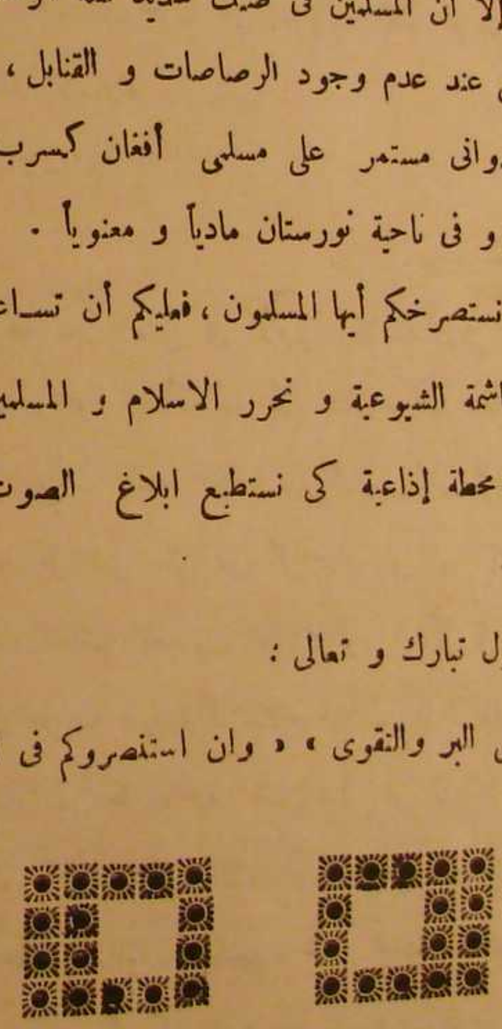

دراسات وأبحاث

دور الجغرافية فى تعضيد التضامن الاسلامى

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى
استاذ الأدب العربى بدار العلوم ندوة العلماء

لقد كانت معرفة العرب قبل الاسلام بالمعلومات الجغرافية ضئيلة وسطحية كالمعارف الأخرى فيهم ، لم يكونوا يهتمون بها إلا بقدر حاجاتهم العملية فى حياتهم المحدودة و نزل القرآن الكريم فكانت فيه إشارات و نصائح بالسير فى الأرض والنظر فى شعوبها و أممها الخالية و ذلك للموعظة و الاعتبار ، فقد قال الله تعالى : و ألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون ، وعلامات وبالنجم هم يهتدون » (النحل - ١٥) وقال : « فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين (النمل - ٩) و هى بمثابة إشارات جغرافية تبعث نفس المؤمن على الاستطلاع و البحث بقوله سبحانه وتعالى : « و لله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » (البقرة - ١١٥) « فلا أقسم برب المشارق و المغارب » (المعارج - ٤٠) إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » (الرحمن - ٣٣) « والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها و مرعاها ، و الجبال أرساها ، متاعاً لكم و لأنعامكم » (النازعات ٣٠ - ٣٢) « ألم تر أن الفلك تجرى بنعمة الله ليريكم من آياته » (لقمان ٣١) « و غيض الماء و قضى الأمر و استوت على الجودى » (هود - ٤٤)

« حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة و وجد عندها قوماً » (الكهف - ٨٦) .

فكل هذه الآيات تبعث على حب الاستطلاع لنواحى الأرض فى الأجواء والسماوات ، وتحدث الرسول عليه السلام أيضاً عن أشياء كثيرة يعالج بها أموراً تهم المسلمين ، وكانت هذه الأشياء ذات اتصال بالمعرفة الجغرافية ، ولم يخل الشعر العربى القديم كذلك من شئون ذات صلة بالمعرفة الجغرافية ، و إن كان كلها مقصوراً فى نطاق حياة العرب المحدودة .

ولذلك نرى أن المسلمين فى عهدهم الأول قد اهتموا بالمعرفة الجغرافية ولكن اهتمامهم كان فى نطاق محدود ، لأنهم لم يستخدموا هذا العلم إلا فى معرفة الأماكن و الطرق و الجهات المتصلة بأوطانهم و مراكزهم .

و لم يهتموا أيضاً من الأقطار الأخرى غير العربية إلا بما كانت تجارتهم البحرية فى حاجة إلى المعرفة بها ، فكان أبطال ملاحتهم البحرية يصلون سواحل جنوبى الجزيرة و شرقيها فى جانب بسواحل أقطار البحور الصينية ، كانو ينقلون البضائع من أفريقا و الهند والصين إلى جزيرة العرب ، ثم منها إلى شمالى الجزيرة العربية و إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية الجنوبية و ينقلونها من هذه الأخيرة إلى السواحل الأولى .

ولكن ذلك كله لم يكن إلا بدافع حبهم التجارى أو التنقل لأغراض اقتصادية محدودة ، ثم اقتضت حاجتهم السياسية منذ القرن الثانى الهجرى أن يهتموا أيضاً بمعرفة البلدان الواقعة تحت حكمهم الواسع والأقطار المجاورة لها كذلك ، واهتموا بنقل كتب العلوم المختلفة ، ومنها العلم الجغرافى من لغات اليونان و الفرس إلى اللغة العربية ، فعرف المسلمون من خلالها مقداراً مهماً من أحوال البلاد المختلفة وصورة

الأرض وأجزائها ، و عكفوا على هذا العلم كما عكفوا على علوم أخرى كانت تنفعهم عقلياً و علمياً ، و بذلك توسع نطاقهم العلمى ، و نقلوا كتاب بطليموس إلى اللغة العربية ، فكان مصدراً كبيراً لمعرفتهم للاكتشافات اليونانية فى هذا العلم ، ثم نبغ فيهم رجال لهم مكانة سامية فى العلوم الجغرافية فى القرن الثالث و الرابع و الخامس ، فكان من أهمهم فى هذه القرون و بعدها بقليل أمثال ابن خرداذبه عبيد الله بن أحمد صاحب « المسالك و الممالك » المتوفى ٢٨٠هـ ، و اليعقوبى أحمد بن إسحاق صاحب « كتاب البلدان » المتوفى ٢٩٢هـ ، والحسن بن أحمد الهمدانى صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » المتوفى ٣٣٤هـ ، والمسعودى على بن الحسين صاحب المؤلفات القيمة العديدة المتوفى ٣٤٦هـ ، و الأصطخرى إبراهيم بن محمد صاحب « صور الأقاليم » و كتاب « مسالك الممالك » المتوفى ٣٤٦هـ ، والرحالة المشهور محمد بن حوقل صاحب « المسالك و الممالك » المتوفى ٣٨٠هـ ، و المقدسى محمد بن أحمد شمس الدين أبو عبد الله صاحب « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » المتوفى ٣٨٠هـ ، و البيرونى محمد بن أحمد صاحب التأليف القيمه العديدة المتوفى ٤٤٠هـ ، والشريف الادريسى أبو عبد الله صاحب « نزهة المشتاق » وكتاب « الممالك والمسالك » المتوفى ٥٦٠هـ ، وشهاب الدين ياقوت الحموى صاحب الكتاب القيم « معجم البلدان » المتوفى ٦٢٦هـ ، وغيرهم من العلماء ممن ساهموا فى النهضة ، و أضافوا إلى العلم الجغرافى نتائج فكرهم و جهدهم ، وألفوا كتباً مختلفة فى جوانب متنوعة للعلم الجغرافى ، و نبغ فيهم من أبطال الملاحة والرحلات البحرية ، كأسد البحر مخترع الابرة المغناطيسية أحمد بن ماجد المتوفى ٩٠٤هـ الذى قطع البحر الواقع بين أفريقيا والهند مراراً وتكراراً بمغامرة نادرة ، وقام بالملاحة فى البحور المجاورة بالاضافة إلى ما ألف فى هذا الاختصاص من الكتب التى تبلغ فى عددها إلى ثلاثين كتاباً .

و لكن همة العرب و أصالتهم العملية بدأت تتضاءل بل و تضعف من القرن السادس ، مع أن عدداً من الرجال الجغرافيين قد زانوا هذه العهود الأخيرة أيضاً ببحوثهم و اكتشافاتهم .

و فى القرون الأخيرة لما كان المسلمون يتأخرون عن السبق و الامتياز فى كل مجالات الحياة المعاصرة و منها المجالات الجغرافية أيضاً ، كانت الدول الأوربية تتقدم فيها بخطى واسعة ، فاكتشفت القارة الأمريكية واستعمرتها ، كما وضع علماؤها خرائط جغرافية دقيقة ، و قاموا بجولات جغرافية إلى البر و البحر حتى استطاعوا توسيع الرقعة الأرضية التى عرفوا كيف يدخلونها بتجاراتهم ، ثم يفتحونها بسياستهم ثم بجيشهم و أسلحتهم .

و جاءت هذه القرون الأخيرة من التاريخ المتأخر ، كقرون تخلف وضعف و استكانة لشعوب المسلمين جميعاً لم يكن منها فى هذه المدة الطويلة الأخيرة من حياتها إلا الانصياع لما يصب عليها من الشعوب الأوربية القوية ، و بقيت منصرفة عن إصلاح نفسها فضلا عن أن تهتم بشئون أخواتها و شقيقاتها ، مع أن المجال كان واسعاً للتدبر فى ظروفها و أوضاعها و الاعتبار بما كان لها من مجد سابق و بما آل إليه أمرها .

و كانت الأمم الأوربية تريد أن تبقى الشعوب الاسلامية متفرقة متحاربة فيما بينها ، حتى لا يحصل لها تجمع يكون سبباً لوحدتها وقوتها و صمودها أمام الأعداء ، وبهذا التفرق الشديد الذى أصيبت به الشعوب الاسلامية فيما بينها ، استطاعت الدول الأوربية إسقاط دولة إسلامية بعد دولة إسلامية أخرى فى العالم .

فكانت الشعوب الاسلاميه فى هذه الظروف أحوج ما تكون إلى التضامن فيما بينها ، وتضافر الجهود لعودتها إلى الحياة الشريفة .

و قد جاءت الأوامر الصريحة فى كتاب الله و سنـــة رسوله بتضافر الجهود و بتوحيد الصفوف و تكوين وحدة شاملة حافلة ، يقول الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (الحجرات - ١٣) ، وجاء فيه « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » (المؤمنون - ٥٢) ، و جاء فى الحديث الشريف « مثل المؤمنين فى توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى » (رواه مسلم ، و أحمد فى مسنده) .

و ما أكثر ما يقع الاشتكاء لأطراف من هذا الجسد الواحد ، وهو يقتضى من الجميع أن يتفاعلوا مع هذه الشكوى بالسهر و الحمى ، و لكن كيف يمكن هذا بدون أن تكون هناك معرفة للأخ عن أخيه و عن أوضاعه ، وهذا هو موضوع التضـــامن الاسلامى الذى يخص المسلمين الاهتمام به أكثر من غيرهم من الأمم و الشعوب الآخرين ، لكثرة ما ورد فى شأنه أوامر ربهم ونصائح رسولهم ، فقد قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، (رواه البخارى عن أنس) و لما بزغت شمس الاسلام فى جزيرة العرب وفى مكة بوجه خاص كان من المعقول أن يكتفى الرسول عليه السلام بالاقامة فى بلده الأول ويجعله مقراً وحيداً ولا يهاجر إلى بلد بعيد من بلده الأول بأكثر من أربع مائة كيلومتر ، ولكنه هاجر فجمع فى حبـه و وطنـــه بلدين مختلفين ، ثم لما قوى أمر الاسلام لم يكتف رسوله العظيم ﷺ بحصر جهوده فى منطقة محـــدودة ، بل أرسل كتباً و رسائل دعوة إلى المـــلوك و الأمراء حوله بعيدين كانوا أو قريبين من مركز حكمه ﷺ ، فأشار بذلك إلى عالمية الاسلام ، و من ذلك اقتبس خلفاؤه من بعده الروح و الهداية ، و أرسلوا جيوشاً إلى الغرب والشرق ، فانفتح لهم الطريق إلى

أفريقيا الشمالية و إلى الأندلس فى الغرب ، و دانت لهم فارس و السند فى الشرق، و اتسعت رقعة البلاد الاسلامية بالصورة العالمية ، و وجدت أمة الاسلام فى كثير من المناطق و الأقاليم المختلفة جغرافياً وعمرانياً ، ثم توزعت هذه المنـاطق المختلفة إلى حكومات ودول و وحدات سياسية مختلفة لم يكن يربط بينها إلا رباط واحد ، و هو رباط الأخوة الاسلامية الدولية ، و يجمعها مركز واحد و هو محط رجال الحجاج مكة أم القرى .

إن المناطق الاسلامية المختلفة فى هذه الأرض ذات خصائص و إمكانيات مختلفة و لها ظروف و أوضاع متباينة ، بعضها بحكم طبيعة هذه المناطق ، و بعضها بتأثير الضغط الاستعمارى الغاشم ، كما أن الله سبحانه و تعالى وهب مناطق منها صلاحيات ضخمة و قوى جبارة يمكن أن تكون إداة إغاثة ومواساة فيما بين المناطق الشقيقات الاسلامية ، فلو أن كل المناطق شعرت بمسئولياتها نحو شقيقاتها لكانت الأمة الاسلامية أمة واحدة حقاً ، و تحقق الوصف القرآنى للمسلمين بالأمـة الواحدة .

ثم إنه ليست وحدة الأمة وحدة نظرية ، بل إنها وحـدة الآلام و الآمال و وحدة العلم و القوه ووحدة الوزن السياسى على الصعيدين العالمى والمحلى جميعاً ، و لذلك رأينا أن قوى الاستعمار لم تهتم بشئ ضـــد المسلمين كما اهتمت بالتفريق بين أجزاء كيانهم العالمى أو شبه العالمى ، فما كان تفتت الخلافة العثمانية فى أوائل هذا القرن إلا نتيجة هذه السياسة ، وما كان خوف المستعمرين من قيام التضامن الاسلامى الواحد إلا نتيجة لسياسة الاستعمار المفرقة ولو لم تكن جهود قادة وزعماء عالميين من المسلمين أمثال الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز الشهيد والزعيم النيجيرى الداعيه الاسلامى أحمد بللو الشهيـــد و غيرهما لما ظهر على الأفق العالمى اتحاد بين

دول الاسلام وأقطاره فى العالم ، بما يسعه أن يكون مناطاً لآمال المسلمين وأمانيهم فى حالة تشتت وحداتهم وتفرق جماعتهم اليوم ، ثم إن ثروات الأقطار الاسلامية و إمكانياتها تمهـــد للوحدة و التضامن تمهيداً لائقاً ، وتسهل لها تسهيلا عظيماً ، فان خامات عديدة اثروات عظيمة توجد أغلب مقاديرها فى عدد من أقطار الاسلام ، بحيث يمكن معها إذا تضامنت هذه الأقطار أن يجـــد العالم نفسه مضطراً لاحترام الصوت الاسلامى و مراعاة الانفعال الاسلامى ، و لقد شهدنا صورة من ذلك فى منع ضخ البترول إلى الدول المعارضة لمصالح الدول الاسلامية ، وكان ذلك يرجع إلى عزيمة القائد الشهيد فيصل بن عبد العزيز .

و فى الوقت نفسه نرى أمماً أخرى غير الأمة الاسلامية تعمل بالتضامن بين أفرادها وأجزائها كلما لزم ذلك ، فنرى دول الغرب تساند واحدة أخراها إذا كانت هناك مصلحة تتصل بالقومية الغربية أو الدين المسيحى ، مع أنها تكون فى غير هذه الحالة عدوة لها متحاربة معها على أهداف معينة .

و تسير الأمة اليهودية على مبدأ التضامن بصورة أقوى ، فان حادثة ليهودى تقع فى ناحية من العالم تثير الحمية اليهودية فى أفراد هذه الأمة مهما كانوا بعيدين عن هذا اليهودى المصاب ، و تمتاز الجاليـــة اليهودية فى أمريكا فى هذه الحمية ، فما يبدو لها أن سوءاً قد يصيب اليهود فى إسرائيل إلا و يبدأ مفكرو هذه الجالية و أدباؤها ورجال الاعلام و السياسة منها بحملة أدبية عاتية فى الصحافة و الاذاعة و التلفزيون بالمقالات و التعليقات ، و برسائل الاستنكار و الايضاح إلى رجالات الفكر والسياسة و الحكم ، ويقيمون ضجة ينخدع و يتأثر بها المسئولون والمواطنون فى الولايات الأمريكية ، فيصبح اتجاه الرياح السياسية و البرلمانية فى صالح إسرائيل

واليهود ، فى الوقت الذى نجد الجالية العربية الاسلامية فى تلك البلاد لا تقوم حتى بالدعاية الشرعية الضرورية .

ليس اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية إلا نحو أربعة فى المائة من مجموع السكان ، ولكنهم يستخدمون جميع طرق التأثير الأدبيـة منها والسياسية ، فيتمكنون من البلوغ إلى أهدافهم فى نصرة إسرائيل بالقدر الذى لا تنجح به إلا جالية ضخمة ذات عدد كبير و طاقات واسعة ، و ذلك لمجرد أنهم لا يقصرون أدنى تقصير فى استغلال الامكانيات الحاصلة لهم من علمية و أدبية ونفسية ويجندون طاقاتهم الانسانية كلها فى هذا المجال ، فقد كانوا يرسلون أكثر من طائرة مملوءة أدوية وأدوات طبية مع جماعـــة من الأطباء الاخصائيين كل مساء الجمعة من نيورك إلى تل أبيب لمدة يومى العطلة الأسبوعية فى أيام الحرب الاسرائيلية ، لمداواة جرحاهم فى الحرب وأداء الاسعاف الطبى نحو إخوانهم فى الدين و العنصر ، يرجعون منه إلى نيويورك صباح الاثنين ليغوودا إلى أعمالهم، أليس هذا تضامنا أخوياً ينشط فيه من لايجد فى تعاليمه الدينية توصيات بها كما يجدها المسلمون فى قرآنهم و سنة رسولهم و حياة أسلافهم العظماء .

و لما وجب علينا التضامن و التعاون و المواساه الأخوية على الصعيـــد الاسلامى الواحـــد فعلينا أن نجعل العلم الجغرافى يلعب دوراً هاماً فى تحقيق هذا التضامن ، لأن أوضاع الشعوب الاسلاميـة القاطنة فى مختلف أرجاء المعمورة ليست كوضع شعب واحد، ولا يمكن معرفة الأوضاع المختلفة لهذه الشعوب إلا باستعراض الأحوال الجغرافية لها ، و من هنا تنشعب فروع عديدة لأحوال هذه الشعوب ، فمنها مايتصل بالوضع الاقتصادى والطبعى، ومنها ما يتصل بالوضع العمرانى والمدنى ، ومنها ما يتصل بالوضع الثقافى والدينى ، و منها ما يتصل بالوضع السياسى والدولى .

ويستطيع التضامن الاسلامى أن يؤدى فى كل فرع من هذه الفروع مسئوليته و واجبه ، وإذا تيسرله العمل الكامل لأداء مسئوليته وواجبه نحو هذه الفروع المختلفة فاذن يحصل للأمة الاسلامية منعة وقوة لا تعادلها قوة و منعة ، و ذلك لأن عدد المسلمين فى العالم ما يقارب ربع سكان المعمورة فى عدد النفوس وفى عدد الأصوات وفى جمعية الأمم المتحدة أيضاً ، ويوجد لهذا الربع من سكان الأرض من أسباب الوحدة والتضامن ما لاتوجد لغيره فى العالم، فثلاثة أثلاث سكان هذه الأرض وهم غير المسلمين موزعة بين أديان ونزعات مختلفة متباينة بحيث لايرجى التقارب فيما بينها ، وهى بتفرقها تصبح أقليات مختلفة ، أما المسلمون ، فيصبحون لوحدتهم الاسلامية بالنسبة إلى غيرهم أغلبية و قوة كبيرة ، و يدل تاريخ المسلمين فى قرونهم الماضية أنهم غلبوا دائماً بطاقتين عظيمتين : طاقة الايمان و طاقة الوحدة ، وقد جاء فى كلام الله سبحانه و تعالى : « و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » (آل عمران - ١٣٩) « و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا » (آل عمران - ١٠٣) و يدل تاريخ المد و الجزر فى الاسلام على هذه الحقيقة الناصعة فما فقد المسلمون الأندلس إلا لأن لأقطار الاسلامية الأخرى كانت مشغولة بنفوسها غير عابئة بما يقع فى قطر من أقطار الاسلام ، و ما كانت غلبة التتار فى بغداد إلا لأن أغراض المسلمين فى أنحاء العالم كانت موزعة إلى جهات مختلفة ، و ما استعاد السلطان المجاهد صلاح الدين الأيوبى رحمه الله أرض القدس المقدسة إلا بعد نجاحه فى توحيد كلمة المسلمين وجمع الملوك المتفرقة تحت لواء إسلامى واحد ، أفليس المسلمون اليوم قادرين على أن يستعيدوا القدس و كل أرض مسلوبة منهم بتوحيد كلمتهم و جمع أنفسهم تحت لواء إسلامى واحد ترفعه الأيدى المؤمنة ، فهل يعد غريباً إذن نجاح المسلمين وبلوغهم إلى تحقيق وعد الله سبحانه و تعالى « و أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » و نحن إذا جئنا

العلم الجغرافى فى مجالات الظروف الاقتصادية و الطبيعية للبلاد التى يسكنها المسلمون لعرفنا ما هى جوانب الضعف فى بلد من هذه البلدان و ما هى وسائل إزالتها أو معالجتها ، فان بلداً إسلامياً آخر قد يقدر على أن يتداركها بطاقة فائضة من طاقاتها ، فهناك أقطار إسلامية وشبه إسلامية فى العالم أغلب أراضيها قاحلة لا تخرج لأهلها ما يكفيهم من قوة وغذاء ، وهناك أقطار أكثر أراضيها رمال أوفيافى جرداء لا تملك نهراً يفيض طول السنة ولا تنال من ماء السماء ما يزيل كربتهم وبؤسهم ، و لكن توجد بجنبها أقطار فيها أراض خصبة و طمى غنى و أنهار فائضة ، أفليس من الممكن أن يتضامن هذان القسمان من الأقطار فيما بينها فى هذه المجالات التى تحتاج إلى عمليات الأخذ و الاعطاء ، بل و إنما توجد من بين أقطار المسلمين فى العالم بلدان تملك من ذخائر بعض الخامات ما تسد بها خلل العالم كله ، فلننظر فى هذا المجال إلى مكانة الماليزيا من ثروات المطاط و القصدير ، و إلى مكانة الشمال الأفريقى و سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية من ثروات العنب و الزيتون ، وإلى مكانة سواحل الخليج العربى المختلفة والمنطقة الشمالية الغربية لافريقيا من ثروات الذهب الأسود ، وهناك أمثلة أخرى من هذا القبيل لا داعى هنا إلى الافاضة فيها .

و هناك أقطار فى العالم الاسلامى لم تتمكن من بناء كيانها الثقافى والدينى بناءاً لائقاً فهى بسبب إمكانياتها الضعيفة وهممها الواهنة لا تستطيع أن تهتم بهذه الناحية من الحياة ، وهى بضعفها فى هذه الناحية لا ترى أنها جزء مهم من الأسرة الاسلامية الدولية الواحدة ، فلا يتبادل فرد من أفرادها آلام الفرد الآخر وآماله ، ولا يتبادل أحزانه وأفراحه ، و لا يصبح جزءاً لائقا للجسد الاسلامى الواحد الذى قال عنه رسول الله ﷺ : « إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

فلو أن الأقطار الاسلامية التى تملك من ذخائر الثقافة والعلم الدينى فى صورة

رجال أو مشاريع و أعمال بذلت فائض ذخائرها للأقطار التى لا تملك منها شيئاً ذا بال ، و تضامنت معها تضامناً مخلصاً حكيماً ، لحصل تقارب كبير بين أجزاء الأسرة الاسلامية الواحدة فى الآمال و الآلام و فى وجهات النظر و الاتجاهات العقلية ، و هى إذا توحدت و تضامنت لاستطاعت أن تشكل قوة جبارة لا يمكن أن تتقهقر أو تتدخر فى أى جهة من جبهات الحياة الدولية الواسعة .

إن عيون المسلمين ترى اليوم بوضوح ما يقع فى القطر الاندونيسى المسلم من تنصير شامل و تحويل هذا الشعب الاسلامى العظيم الذى يعد أكبر شعب إسلامى فى العالم من جهة عدد أفراده ، إلى شعب غير إسلامى كافر ، فقد تمكن الأعداء من أن يتملكوا ناصية هذا الشعب الفقير المسكين ، واستغلوا ظروف فقره وضعفه فى الثقافة الاسلامية ، فوضعوا المشرحة عليه ليقطعوا هذا العضو الكبير من جسد الأمة الاسلامية . وكل ذلك يقع على مرأى من شعوب الاسلام الأخرى فى العالم و مسمعها ، و هى لا تقدم نحو ذلك إلا كلمات الأسف و التأبين وحدها ، كان شعوب الاسلام الأخرى فى العالم لا تملك من الامكانيات الدعوية و المعدات الاقصادية و الوسائل العملية المفيدة ما يستطيع به معالجة هذا الخطر و تدارك الأمر قبل فواته ، مع أن العالم الاسلامى اليوم يشتمل من المنظمات الاسلامية ذات الطاقات الكبيرة و الامكانيات الهائلة على ما لم يكن يشتمل عليه قبل اليوم ، ولا داعى هنا إلى سرد أسمائها وذكر امكانياتها و وسائلها الجبارة .

لقد أصبح التنصير اليوم أكبر خطر على الاسلام بعد أن نظمت ضده المنظمات التنصيرية فى العالم حملة دعوة و تنصير شديدة يسندها من ورائها الحكومات الأوربية وأمريكا ، و الفاتيكان بطرق خفية ، وفى نفس الوقت يكثر دعاة التنصير لفت نظر المسلمين إلى وحدة الأديان و ضرورة تضامنها على صعيد الوحدة الحاصلة

من اتصافها بورودها من السماء ، و يتوخون بذلك أن يكسبوا من المسلمين المهادنة معهم ، مع أنهم يسعون فى نفس الفترة تحويل شعوب بأكملها من الاسلام إلى النصرانية ، و يستخدمون فى ذلك طرق المواساة الطبية والاقتصادية وطرق الدسائس و السياسات الغاشمة .

فقد يتعجب رجل من تفصيل الكلام فى هذه النقطة و يسأل عن ارتباطها الوثيق بموضوع البحث ، ولكن النقطة من صلب الموضوع ، لأن الطريقة الأوربية فى احتلالها السياسى للاقطار الضعيفة ، و احتلالها الدينى للشعوب الفقيرة و الجاهلة تعتمد على الوسائل الجغرافية أكثر من اعتمادها على أمر آخر ، فان علماء أوربا يقومون أولا بالتحقيقات الجغرافية الشاملة لجوانب هذه الشعوب والأقطار ، يجمعون معلومات عن طقس البلاد و تضاريسها التى قد تواجهها البعثات و الارساليات المسيحية و عن خصوبة البلاد واقتصادها و فقرها حتى يمكن استغلال الظروف و الاستفادة بها فى الوصول إلى الغرض المطلوب ، و عن وضع الشعوب الثقافى والدينى والفكرى حتى يمكن تحديد مواضع النفوذ العقلى ، وأساليب التأثير والاقناع ، و عن وضع البلاد السياسى و الحكومى حتى يمكن للارساليات اجتناب خطر المواجهة السافرة و القيام فى نفس الوقت بطريقة يحصل بها التغلب العملى على منابع القوة و الغلبة فى البلاد ، فتكون الارساليات بعد ذلك فى مأمن عن أى اصطدام خطير مع القوى المعارضة .

إنه لا يمكن معرفة الطرق الخفية الحكيمة التى يستخدمها أعداؤنا فى الأمم القوية ، إلا بعد فحص دقيق لمن لم يكتووا بنارها سابقاً ، و لكن الشعوب التى مرت بفترة واسعة للاحتلال و الاستعمار تعرف هذه المكائد فى أغلب الأحوال ، فنحن إذا بحثنا فى الحياة المدنية و العلمية لهذه الشعوب لوجدنا أن المدنية و العلم

قد سارا فى زمن الاحتلال خطوات واسعة ، فنرى أن المسح الجغرافى الشامل للبلاد قد تم على أحسن صورة ، و وضعت خارطات دقيقة للامكانيات المادية للبلاد و للظروف و الحالات الخاصة لها ، ثم بدىء عمل تطوير البلاد و تنشئة الأجيال على أساسها ، لماذا كل هذه المواساة و التطوير ؟ و لماذا كل هذه الخدمة الكبيرة للعلم و المعرفة ؟ هل فى سبيل الانسانية و لمجرد الاخلاص لهذه الشعوب ، لا بل لأن فى ذلك ضماناً لترسيخ أقدام الاحتلال و الاستغلال فى البلاد ، و هو مقتضى حكمة التنظيم و طلب التمكين فى أرض الشعوب المحتلة .

و من المؤسف جداً أن الأقطار الاسلامية البحتة لم يأخذها المسح الجغرافى الكافى إلى اليوم ، أما القدر الذى حصل منه و الذى نستفيد به فى كتبنا ودراساتنا أكثره بجهود المستشرقين ، و أغلبهم و كلاء الشعوب القوية التى تستهدف فى كل أعمالها الاستعمار والاستغلال ، ثم إن أكثر أعمال المسح الجغرافى لأقطار الاسلام إنما هى مساندة و مدعمة من منظمات الدول الاستعمارية ، و من الوضوح بمكان أن التضامن قوى و خفى بين منظمات الدول الاستعماريه ، و هو يعد فى سبيل العلم و لكنه يكون فى غالب الأحوال فى سبيل الاستعمار و الاستغلال .

تسعى روسيا السوفيتية أن يتعلم شباب الشرق و خاصة الشرق الاسلامى منه فى جامعاتها و دور التربية و التعليم فيها ، و منظمات أميركية تسخو باعطاء المنح ، و توسع رحاب جامعاتها و دور تربيتها و تعليمها لرواد العلم الشباب من الشرق ، و تمتلئ جامعات بريطانيا و فرنسا بشباب الشرق ، و كل ذلك بمجاملات حسنة و أدب جم .

وتسخو الدول الكبيرة بالبذل فى مجالات نشر العلم والمعرفة فى الأوطان الاسلامية مع أن هذه الدول الكبيرة قد عرف عنها مراراً أنها تتوخى أهدافاً غير متفقة

مع صالح الشعوب الشرقية ، و تنجح الدول الكبيرة فى البذل و التعاون فى هذه المجالات لأن دول الشرق متهاونة فى أداء مسؤلياتها فيها ، وما دام المكان يكون شاغراً فلا بد من أن يملأه من لا يكون تواجده فى هذا المكان فى صالح أهله الحقيقيين .

إنه يجب أن تملأ دولنا و منظماتنا كل مكان شاغر فى المجالات الثقافية و الفكرية لأمتنا الكبيرة المنتشرة فى بقاع العالم و أقطاره و تستغل الطاقات والنتائج الحاصلة منها فى مصالح أمتنا الاسلامية المجيدة ، فان مجدنا نابع من مجد أمتنا وليس نابعاً من مجد أمة أخرى غير أمتنا ، و لا بد من التضامن الاسلامى الشامل فى جوانب الحياة الثقافية و الدينية للأمة الاسلامية ، فانه لا يمكن الوصول إلى القوة و المجد بدون تضافر الجهود و الآمال للغرض المطلوب .

أما فى جوانب الحياة السياسية فغير خفى أن الوحدات الصغيرة بتفرقها لاتقوى على صيانة أنفسها و على الدفاع عنها كما تقوى على ذلك بتضافر جهودها و التضامن المخلص فى أعمالها .

لقد اتبع المسلمون فى عهودهم الأولى أسلوب الخلافة فى الحكم و السياسة ، و كانت هذه الطريقة تنظم جميع الوحدات السياسية و الحكومية فى سلك واحد فكانت تنشأ منه أسرة سياسية واحدة محكمة فى ترابط أجزائها و أفرادها ، فما كان يجرؤ واحد من الأعداء أن ينظر بعين الاساءة و الازدراء إلى وحدة من وحدات هذه الأسرة و ألا تنهض كل وحدة من وحدات الأسرة للذب عن الجزء المصاب من كيانها الكبير ، فقد ارتفع صوت من زبطرا « وا معتصماه » فأصاب الخليفة العباسى المعتصم بالله الغيرة ، فنهض لتلبية الصوت والذب عن المظلوم مع أن الطقس لم يكن ملائما لمثل هذه الخطوة ، و كان أهل العلم و الحزم ينهون عن الاسراع فى

هذه التلبية ، ولكن الخطوة كانت بالاخلاص ولغرض نبيل فكانت موفقة وناجحة .

لقد قام بدعوة التضامن الاسلامى قبل عقدين من السنين الحاج أحمد و بالو الشهيد رئيس وزراء نيجريا الشمالية سابقاً ، و عاهل الحرمين الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، فبدأت الدعوة تخط طريقها إلى الامام ، وإن كان أعداؤها من الشرق والغرب كانوا يناوئونها بكل معداتهم و وسائلهم ، ولكن الخطوة كانت مزدانة بالغيرة وطلب الخير للأمة الاسلامية ، فقطعت شوطاً واسعاً ، إلى أن بلغت إلى حد الانتاج المفيد و إلى مبلغ القوة و التمكن ، ونشأت أسرة إسلامية دولية فى المجال السياسى الدولى يرجى أن تقوى و تزدهر فتصبح يوماً من الأيام دوحة مختلفة الفرع والأغصان وافرة الظلال ، بعد أنها كانت غرساً وفسيلة فى بداية أمرها .

هذه الفكرة الجليلة التى نادى بها و عمل لها القادة المخلصون أمس فى جوغير ملائم أصبحت اليوم مفهومة لدى الناس فهماً جيداً ، وأصبحت تستساغ فى العقول و الأذهان ، و لم تعد فكرة مجهولة أو خطة نظرية مجردة ، يجب لها أن تتقدم و تزدهر وتؤتى أكلها المطلوب ، و يجب أن نعرف أن تطبيق هذه الفكرة وتنفيذها مرتبط أيضاً بالجوانب الجغرافية لتلك الشعوب الاسلامية التى يؤدى التضامن الاسلامى عمله فيها و عند ما يوضع التضامن الاسلامى فى المحل الصحيح من الجوانب المختلفة كلها . فانه سيأتى بخير النتائج فى هذا المجال .

و إنها لكبيرة :

التدخين . مضاره ونتائجه !

الأستاذ سعيد بن عبد الله بن سيف الحاتمى

١- التدخين :

كثر الجدل والكلام حول موضوع التدخين . . فمن مؤيد و رافض ومحاور فى الموضوع . هل التدخين مضر للصحة أم لا ؟ ؟.

كثرت الكتب و المقالات و المحاضرات و القيام بحملات واسعة النطاق تبين ضرر التدخين ، والمتتبع لهذه الحركات يرى أن الذين يقولون بضرر التدخين سوف ينجحون فى النهاية . لست خبيراً ولا أهلا للكتابة فى مثل هذا الموضوع الدقيق بيد أنى أتطفل و أدلى بدلوى لأحرك هم المتخصصين فيه ليبينوا لنا حقيقة الموضوع جلياً .

إن التبغ بكل أنواعه بما فى ذلك النشوق مضر لصحة الفرد ، والسبب فى ذلك أن التبغ فيه مادتا الغاز والنيكوتين ، وهما مادتان سامتان جداً ، عندما يستعمل شخص ما التبغ عن طريق تدخين السيكارة أو السيجار أو الغليون أو النشوق أو الغوجيلة ، فان جسمه يمتص هاتين المادتين المذكورتين آنفاً .

و من مساوىء التدخين أنه يؤثر على الجهاز العصبى ، و قد يفقد المدخن توازنه العقلى و قد تراه قلقاً و غير مرتاح عند ما يبقى فترة طويلة دون التدخين

و أنه يكثر من الكحح و السعال و كثيراً ما يصاب بمرض شبيه النزلة الشعبية .

عند ما يدخن الفرد فانه يحرق السيكارة كلها أوجزءاً كبيراً منها تماماً ، ومما لا جدال فيه أن الشئ إذا تم إحراقه كلياً يصبح هذا الشئ غير نافع و يكون مضراً عند ما يأكله الشخص أو يشربه ، لو فكر الناس تفكيراً رزيناً ، ولو عرفوا معنى « الدخان » لامتنعوا عن التدخين نهائياً ، لأن أى شئ يكون دخاناً مضر بصحة الانسان .

هل لاحظت شخصاً يشرب سيكارة و كيف يدخل الدخان فى أنفـــه أو فى مناخيره ، ويتراكم فيها الدخان إلى أن يسبب له صعوبة التنفس ، كما ويدخل الدخان فى عينيـــه ، و قد يسبب سقوط الدموع بالاضافـــة إلى ما يسببـــه من إيذاء الجالسين الذين لا يدخنون و يكون ذلك أكثر ضرراً فى الأماكن المكتظة بالناس مثل المكاتب والمواصلات ، انظر كيف يتضايق الشخص الجالس بجانبك لأنه لايشرب السيكارة و أنت تنفخ الدخان على وجهه جزاء مشاركته لك نفس السيارة مثلا .

لهذا السبب و أسباب أخرى نسمع اليوم أن الرجال العقلاء فى أوربا يقومون بحملات واسعة النطاق لمكافحة هذه العادة السيئة ، عادة التدخين ، و يصرفون مبالغ هائلة ، لهذا الغرض غرض التخلص من التدخين ، إنه من غرائب الدنيا . غير أنها هى الحقيقة المرة أن السكائر أغلى فى أوربا عنها فى الشرق و على هـــذا نرى أن نسبة التدخين أعلى فيها من الشرق .

إن التدخين يلوث الجو الذى نحصل منه على الأوكسجين ، و ليس بخـاف على أحـد أن الأوكسجين من ضروريات حياة الانسان و الحيوان و النبات . قل لى بالله عليك كيف يكون موقفك لو أتى أحد و كدر لك الماء الذى تشرب منه ؟ فكيف يحق لك أن تلوث لنا الهواء الذى نستنشق منه ، وهو ضرورى لحياتنا بحيث يقوم بعدة أعمال فى الجسم مثل تنقية الدم عن طريق الرئتين .

يلاحظ أى مسافر إلى القارة الأوربيـــة اليوم أنه من ضمن مكافحتهم ضد التدخين و حفاظاً على صحة غير المدخنين أنهم قد خصصوا عربات خاصة فى القطار لغير المدخنين ، و عليهـا لافتات مكتوب عليها بأكثر من لغة ، عبارة « ممنوع التدخين لطفاً » و يلاحظ شيئاً شبيهاً بهذا فى الطائرات حيث خصصوا المقاعد الأمامية لغير المدخنين ، وهناك دراسة لتطبيق هذا النظام على بقية وسائل النقل مثل سيارات الأجرة و الحافلات ، و قد اتخذوا خطوات صارمة لتطبيق هذا ، ويعاقب كل مخالف بغرامة لا تقل عن عشرين جنيها استرلينياً أو بالسجن لمدة معينة .

اتخذت هذه الخطوات لصالح الأشخاص الذين يعرفون أهمية صحتهم ويقدرونها حق تقدير ، و على هذا الأساس نراهم يفضلون الجلوس فى غرفـــة بمفردهم بدل الجلوس فى مكان فيه من يتعاطون كل أنواع التبغ ، فليعلموا أن التـــدخين عادة يسبب الجلطة .

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما معناه .

« من أكل ثوماً أو بصلا ، فليعتزلنا أوفليعتزل مسجدنا » . : أو كما قال :

يجب على من أكل الثوم أو البصل عـدم الاختلاط بالناس الذين يصلون صلاة الجماعة بسبب رائحة ما أكله ، لأن تلك الرائحة كريهة و تؤذى المسلمين بالمسجد .

لنعمل مقارنة بسيطة بين رائحة آكل البصل و رائحـة شارب الدخان . أن الرائحة التى تخرج من شارب السكائر الكثيرة تقارب رائحة الدوريان ، فاكهة غلافها الخارجى شائك جداً و حجمها فى حجم الشمام ، و فى داخلها حبوب كبيرة مغطاة بقشرة ناعمة بيضاء لذيذة الطعم و لها رائحة كريهة جداً . تكثر هـــذه الفاكهة فى خط الاستواء ، وتسمى فى إندونيسيا بالدوريان بيد أنه يمكن إزالة رائحة الثوم والبصل بمجرد أكل الحمضيات وخاصة البرتقال أوالخيار كما أنها لاتعلق بثياب جلسائك . أما

رائحة التبغ فلا تزول بهذه السهولة إنها تعطى رائحة كريهة للفم مدة طويلة .

من الملاحظ أن المدخنين يكحون كثيراً ، و تبقى آثار السجائر على أسنانهم و الأصابع التى تمسك بالسجائر .

يسبب التدخين تجمع مادة مثل خام الدخان فى رئة المدخن ، و فى حلقه و فى شرايينه ، ومثل هذا التجمع لهذه المادة الشبيهة بالدخان له عواقب وخيمة على صحته .

قد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام الذين يأكلون البصل من الاقتراب من المساجد أو بالأحرى من اشتراكهم فى صلوات الجماعة لئلا يؤذوا الآخرين برائحتهم الكريهة . فماذا نقول عن المدخنين إذن ؟ ؟ .

إنه من غرائب الدهر أن ترى بعض الناس الذين ينتسبون إلى الاسلام أنهم يشربون السجائر بعد الوضوء و قبل الصلاة ، تراهم يطفئون السيجارة أمام باب المسجد و يدخلون المسجد و يصلون وراء إمام مع بقية المصلين ، هل يقومون بهذا جهلا منهم أو تعمداً ؟

من المسلم به أن التدخين يؤثر على الجهاز الهضمى و يسبب فقدان الشهية للأكل و يقلل لدى البعض الدافع الجنسى ، كما ويسبب بعض الأوقات الامساك ، ولا يخفى على كل ذى لب حكيم أن التدخين من الأسباب الرئيسية لمرض السرطان سرطان الرئة و سرطان المعدة و سرطان الشفة ، و قد يسبب التدخين سكتة قلبية و هو مرض خطير كما تعلمون .

سبب وفاة ملوك بريطانيا :

كتب أوليفرجيلى المراسل الطبى « لساندى تايمز » مقالا قيماً عن التدخين فى

مجلة ريداز دائجست الشهرية لشهر يناير ١٩٧٨م تحت عنوان « التدخين قاتل للملوك و رؤساء القوم » .

يقول الكاتب فى مقاله : إنه لدى دراسته لحياة أربعة من ملوك بريطانيا فى الفترة الأخيرة تبين أنهم كانوا يسرفون فى التدخين وكان هذا التدخين من الأسباب الرئيسية فى وفاتهم.

و استمر يذكر أسباب وفاة كل واحد منهم فيقول :

كان الملك أدوارد السابع هو الذى جعل التدخين مشهوراً و مقبولا و محترماً اجتماعياً ، إنه كان يشرب السيجار و سكاترين قبل الافطار ، و كان معدل تدخينه اثنى عشر سيجاراً ضخماً و عشرين سجائر عادية .

أصيب ادوارد فى الأربعينات من عمره بمرض الالتهاب الشعبى إصابة بالغة ونصحه الأطباء بالتقليل من السجائر ، وذهبت نصائحهم أدراج الرياح ، وفى الستينات خف عقله و مات و عمره ٦٨ سنه .

كان الملك جورج الخامس مدمنا لشرب السجائر بحيث كانت تنتابه نوبات النزلة الشعبية المتكررة و سببت أخيراً مرض الالتهاب الشعبى المزمن و مات فى ٧٠ من العمر .

تقول التقارير الطبية إن سبب مرضه المباشر هو بعدوى تسمم ميكروبى (الفيروس) مثل مرض الانفلونزا .

بدأ الملك جورج السادس وأخوه أدوارد الثامن شرب السجائر عند ما كان فى البحرية ، و كانا بين الثانى عشر و الثالث عشر من العمر .

كان الملك جورج السادس يشرب ما بين أربعين وخمسين سيجارة فى اليوم ، وأصيب بمرض شديد فى شرايينه نتيجة التدخين مما تسبب عنه فى إجراء عملية جراحية

لسرطان الرئة ، و أزيلت الرئة اليسرى التى كانت قد تلفت كثيراً و مات فى سنة ١٩٥٢م بسبب القلب الأكليكى ، و كان هذا بسبب التدخين .

كان أخوه دوق وندسور (أدوارد الثامن) كثير التـــدخين مثله ، و كان سبب وفاته مرض سرطان الحلق الذى نتج عن الادمان فى التدخين .

كتبت مقالات قيمة عن التدخين فى كبريات المجلات العالمية مثل التايمز اللندنية و الجارديان بأقلام أناس من أمثال الدكتور كانث ليل ، كل هـذه المقالات تقوم بحملة واسعة النطاق لمكافحة التدخين .

كربون الأكسيد الأحادى :

تقول الأرقام إنه فى بريطانيا فقط يموت ما لا يقل عن ٤٠٠٠٠ شخص سنوياً بسبب مرض التاجى وإن ١٠٠٠٠ منهم يموتون بسبب إدمانهم للتدخين .

يقول الأطباء إنه يوجد النيكوتين وكربون أكسيد الأحادى فى التبغ ، يسبب النيكوتين إفراز الأدرينالين ، و هذا بدوره يزيد من عمل القلب و يزيد من شحم الدم و يشجع ضغط الدم فى أوعيته . أما الكربون الأحادى يجمع الهيموجلوبين و يخفف من توزيع الأوكسجين إلى عضلات القلب .

أما بالنسبة لأولائك الذين يستعملون السيجار أوالغليون ، فانهم يعرضون أنفسهم لمرض سرطان الشفة و الحنجرة و الكوسوفلاغاس .

إن التدخين يؤذى الأشخاص الجالسين بالقرب من المدخن ، وقد نهانا الاسلام عن إيذاء الجار ، و يعتبر الجليس بمرتبة الجار ، و يأتى الايذاء بسبب الدخان الذى يدخل فى عيونهم و مناخيرهم كما و أنهم عند ما يتنفسون القار و النيكوتين .

يجب على الحوامل الامتناع عن التدخين و ذلك لأنهن لو شربن السجائر قد يسبب هذا العمل قتل الجنين أو إلى الاسقاط أو ولادة أطفال قد فارقوا الحياة .

و ذلك لأن الجنين يمتص كربون الأكسيد الأحادى ضعف ما تمتصه الأم .

و لا يخفى على أحد أن كربون الأكسيد الأحادى واحد من الأجزاء التى تكون من دخان السيجارة ، و يكون ذلك نتجة حريق غير كامل لعدم وجود كمية كافيـــة من الأوكسجين ، و الكل يعرف أن كربون الأكسيـــد الأحادى يكون سبباً فى تسمم التنفس البشرى لوجود تشابه بين هيموجلوبين الدم وكربون الأكسيد الأحادى و بهـــذا بعد أن يوخذ كربون الأكسيد الأحادى إلى الرئتين ينشئ الهيموجلوبين معه صلة بحيث تبقى جزئيات كربون الأكسيد الأحادى كمسافرين دائمين على جزئيات الهيموجلوبين ، وبهذه الطريقة يقلل عدد جزئيات الهيموجلوبين الموجودة لنقل الأوكسجين .

النيكوتين :

إن كمية النيكوتين الذى تحويه السيجارة العادية تكون فى حدود ٢٣ ملغراماً ، منها ١٧ ملغراما فى الجزء الذى يدخنه المدخن فعلا ، ويدخل حوالى ٣ ملغرامات فى فم المدخن ، و بهذا نرى أن كمية النيكوتين التى يدخلها المدخن فى فمه إذا كان يشرب معدل عشرة سجائر فى اليوم هو ٣٠ ملغراماً ، و تتراوح الكمية التى تمتصها أغشية الجسم البشرى ما بين ١٠ ٪ إلى ٩٠ ٪ منها حسب ظروف مختلفة منها .

و ليس يخاف على أحـد أنه إذا أعطيت كميه ٦٠ ملغراماً إلى شخص دفعة واحدة فان هـذا الشخص يموت فوراً بيـد أنه يحمل الدم ١٠ ٪ من النيكوتين الممتص إلى الكليتين حيث يتخلص منها عن طريق البول دون تغيير كيماوى ، أما ٩٠ ٪ الباقى ، فيجب أن تمر بتغييرات كيماوية لتكون ساكتة عديمة الحركة ، ويحدث هذا خلال أربع و عشرين ساعة فقط .

إن النيكوتين يؤثر على عصب الغـدد الليمفـاوية و على مراكز الاتصال بين

الأعصاب ، و العضلات ، إن النيكوتين يهيج الغدد اللعابية ، و قد يؤدى هذا التهيج إلى شلل التركيب الذى تزوده الدورة العصبية و عضلات التنفس ، و ذلك بمنع التيارات العصبية من الوصول إلى العضلات .

أما تأثير النيكوتين على العين فيكون سبباً فى اتساع حدقة العين بحيث لاترى فى الضوء القوى ويكون القريب منها صغيراً فى شكله ، ويزيد النيكوتين على سرعة ضربات القلب و ينتج هذا ازدياد ضغط الدم بفقدان ضبط أوعية الدم فى الجسم البشرى و له أثر كبير على المثانة البولية بحيث يجعل إفراغها صعباً ويسبب النيكوتين دوراناً فى الرأس و ارتعاشات فى الجسم .

التدخين و الحمل :

تقول الدكتورة وبناسيمبسون أن عدم انتظام المحيض يكون عادة مرتين أكثر عند النساء المدخنات فى النساء غير المدخنات ، و إن انقطاع الحيض السابق لاوانه يحدث غالباً للمدخنات و عدم انتظام الغدة الدرقية يتكرر سبع مرات فى النساء المدخنات أكثر منه فى النساء غير المدخنات ، وهذا يعطينا دليلا واضحاً على أن للتدخين تأثيراً على الطفل لأن - المنتجات المسممة الموجودة فى دخان التبغ تصل إلى دم أنسجة الطفل الذى لم يولد بعد .

السيجارة أكثر ضرراً من الغليون و السيجار :

يقول الدكتور هارلد شراياك فى كتابه « هل لك فى سيجارة » الكتاب الحائز على جائزة « باسيفيك برس » كل الدراسات حتى الآن أظهرت أن النسب المئوية فى الاصابات بسرطان الرئة هى أقل بين من يدخنون الغليون و السيجار مما هى بين مدخنى السكائر ، حتى أولئك الذين يدخنون أقل من نصف علبة يومياً ، وبناء على هذا فان سرطان الرئة بين مدخنى الغليون و السيجار أكثر فى الغالب مما هو بين

غير المدخنين . من المعلوم أن دخان الغليون و السيجار يهيج أنسجة الجهاز التنفسى كما أنه فى الواقع يحدث هيجاناً أكثر من دخان السجائر .

أختم هذا المقال بكلام جورج واشنطن كارفر الذى كان يعيش فى منطقة زراعة التبغ بقوله :

« إن التبغ ليس طعاماً و لا شراباً ، و الانسان يقوم بناؤه على الطعام والشراب و المخدرات لا تفعل شيئاً ما لبناء الجسم ، و فضلا عن ذلك لو أن الله قصد أن يستعمل الأنف مدخنة لجعل فتحتيه متجهتين إلى أعلى .

فلنتذكر بالاخوة الأحبة قول الرسول ﷺ (كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به) .

و إلى لقاء آخر باذن الله حول موضوع ثان من المسكرات ألا و هو « الخمر »

« يتبع »

الفقه الإسلامي

مبادىء التدوين الجديد للقانون الاسلامى ومنهجه

فضيلة المفتى سياح الدين كاكاخيل
عضو مجلس تنسيق القانون الاسلامى بباكستان

[حينما أزمعت الحكومة الباكستانية تنفيذ القانون الاسلامى فى المجتمع الباكستانى ، كونت لهذا الغرض لجنة باسم « مجلس التنسيق الجديد للقانون الاسلامى » شعوراً منها بالحاجة الملحة إلى تدوين جديد للفقه الاسلامى ، و اختارت لعضويتها من بين العلماء و رجال القانون و الحقوقيين - على اختلاف المذاهب ومدارس الفكر - من يتعمقون فى علوم الكتاب و السنة ، و يتميزون بأصالة الفكر ، و سداد الرأى ، ونفوذ البصيرة ، و باتجاههم الاسلامى ، وهذا المقال الذى بين يدى القراء هو ما كتبه فضيلة الشيخ المفتى سياح الدين كاكاخيل حول الموضوع ، و هو يلقى الضوء على أهداف المجلس و يحدد اتجاهه ، و نحن ننشره تعميماً للنفع بعد ما عربه الأستاذ نور عالم الندوى] . التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة و السلام على سيد المرسلين و خاتم النبيين محمد و على آله و أصحابه و ذرياته أجمعين .

قبل أن أدخل فى صلب الموضوع ، أريد أن أزيل سوء الفهم الذى قد يقع

فريسته فور سماع مثل هذا العنوان (مبادىء تدوين القانون الاسلامى لجديد ومنهجه) بعض أولئك الذين يحبون الاسلام و يخلصون له من المتدينين الأتقياء ، و يتلقون مثل هذا الصوت فى استغراب و استيحاش ، و السبب فى ذلك يرجع إلى أن هناك طبقة كبيرة من الناس لا تخلص ولاءه للاسلام ، بالاضافة إلى ضعفها العملى ، و عدم تقيدها بالقوانين و الأحكام الاسلامية ، لكنها تلح على فتح باب الاجتهاد من جديد ، وعلى التدوين الجديد للقانون الاسلامى ، فى مقالاتها و خطبها ، وحديثها ، وهى إما طائفة لا تؤمن بحجية الحديث ، و لا ترى السنة مصدراً للتشريع الاسلامى ، بل تتمسك فى اعتقادها المزعوم بالقرآن الكريم ، ثم إنها لا تستند - فيما يتصل بفهم القرآن و تفسيره و تأويله و تعيين معناه و تحديد مفهومه - إلى حديث نبوى ، أو إلى ما تواضع عليه صحابة النبى ﷺ ، و جمعت عليه الأمة ، أو ما أفاده الأئمة الأعلام والسلف الصالح من توضيح وشرح وتوجيه و إرشاد ، وإنما تعتمد كلياً على فهمها و ذكائها ، وإما طائفة تعترف باللسان بحجية السنة مع حجية الكتاب ، و كونها مصدراً للتشريع و مأخذاً للقانون الاسلامى ، لكنها تؤول الحديث النبوى كالقرآن الكريم على ما تشاء ، و تشرحه حسب رأيها الحر ، ولا تتقيد بمبادىء وأصول مقررة فيما يتعلق بالاستنباط والاستخراج ، و عمادها الأفكار الغربية و القوانين و السياسة الغربية بحكم خضوعها لها ، ولآراء فلاسفة الغرب و حكمائه و إعجابها بسياسته و ثقافته .

إنها دائماً تحاول أن تثبت أن ما ثبت من رسول الله ﷺ من قول وفعل ، يختص بالظروف المؤقتة ، و بأوضاع العرب الخاصة ، و بذلك فتحرر نفسها من التقيد بها ، ثم تجتهد من عند نفسها ، وتأتى بحكم آخر من عندها فى القضية الطارئة ، و تريد أن تجعله قانوناً إسلامياً ، يأخذ به الناس فى حياتهم .

و إذا كان هؤلاء يصنعون بالحديث النبوى ما يصنعون ، فكيف بالقوانين و الأحكام التى كانت وليدة القضايا التى حدثت فى عهد الخلفاء الراشدين ، و من تبعهم باحسان من الأئمة المجتهدين و الفقهاء الكرام ، فانه يسهل القول - إذاً - إنها كانت اجتهادات مؤقتة، فى قضايا طارئة ، و مشكلات مستحدثة ، فذهبت بذهابها ، أما اليوم ، فقضايا جديدة ، و مشكلات طريفة و أوضاع غير تلك الأوضاع ، و متطلبات غير تلك المتطلبات ، و لا يمكن التقيد بتلك القوانين و الأحكام المجتهدة ، فلنجتهد من جديد ، و لنستنبط الأحكام جديدة .

على كل فاذا كان هناك أمثال هؤلاء المغرضين ، فان المتدينين المخلصين من المؤمنين ، لهم حق أن يفزعوا بمثل هذا الغنوان ، و يظنوا أن « مجتهداً صناعياً » من هذه الطبقة المتحررة جاء يفتح باب الاجتهاد المخوف على مصراعيه ، لكى يجعل الثروة الغنية العريقة من التفسير ، و شروح الأحاديث ، والفقه ، و أصول الفقه و محاولات الأئمة المجتهدين و السلف الصالحين ، هباءاً منثوراً . . و لذلك فكان لزاماً على أن أضرب على جذور هذا الفهم الخاطئ فى مستهل مقالى .

إنى أعتقد أن الأحكام التى ثبتت بنصوص القرآن القطعية الدلالة ، والأحاديث القطعية الدلالة ، أو النصوص القرآنية الظنية الدلالة . وأخبار الآحاد الظنية الدلالة - لكن حدد لها رجال الحل والعقد فى القرون الثلاثة المشهود لها بالخير معنى ، وأجمعوا على تأويل محدد - هى أحكام و قوانين مقررة مستوفاة لا تقبل النسخ و التبديل و الحذف و الزيادة ، و على ذلك فاذا أجمع المفسرون و الشارحون ، و الأئمة المجتهدون على تأويل محدد لنص من النصوص ، فان الانحراف عنه و الاعتماد على « لغات القرآن الصناعية » أو لغات الحديث الصناعية ، أو على الفهم والذكاء الشخصى ، و تأويله تأويلا جديداً ، ضلال مبين مؤد إلى البوار ، و خسران لا خسران بعده ، أعاذنا الله من ذلك .

فالمراد من التدوين الجديد لأمثال هذه القوانين و الأحكام ، أن تنسق بنداً بنداً ، مرقمة ، كالقوانين الوضعية المتداولة فى العصر الحديث ، حتى لا يحتاج أحد إلى إضاعة الوقت و الجهد فى البحث عن القوانين الاسلامية فى كتب الفقه وشتى المظان ، بل يتمكن كل واحد من أن يطلع على القانون الذى يريد الاطلاع عليه فى يسر و سهولة ، و لا يحتاج إلا إلى الكشف عن البند الذى يهمه ، و هذا التدوين الجديد شئ لا يختلف فيه اثنان و لا ينكر جدواه و غناءه أحد .

و هناك طائفة كبيرة من القوانين الاسلامية ، مختلف فيها فيما بين الأئمة المجتهدين ، اختلافاً مؤسساً على العلم و البحث و الدراسة ، و هى تتعلق فى أغلب الأحيان بتفسير آية ظنية الدلالة ، أو تحديد معنى خبر من أخبار الآحاد .

والتى اختلف فيها الأئمة الأربعة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد ، فكل أول نصاً من النصوص - فى ضوء علمه وتفقهه ، وملكته الاجتهادية أواستشاداً أو استيناساً بنظائره الأخرى - تأويلا لم يؤله الآخر ، و حدد له معنى و مفهوماً لم يره الآخر ، فمثل ذلك اختلاف اجتهادى ، و كان وقوعه طبيعياً ، و أمثال هذه المسائل و الأحكام نسميها قوانين اجتهادية .

وأبناء بلادنا - الهند وباكستان - معظمهم أحناف يعنى أنهم يعتمدون (على الأرجحية) على الامام أبى حنيفة رحمه الله فيما يتصل بالقوانين و استخراج الأحكام الفقهية و استنباطها ، و إن كانوا يحترمون جميع الأئمة و يمنحونهم الحب والاجلال ، و يرونهم جميعاً أئمة الهدى و الرشد ونماذج التقى والورع . ومجاهدين فى سبيل الدين و العقيدة ، لكنهم فى حياتهم العملية يفضلون الأخذ بتلك الأحكام التى استنبطها الامام أبو حنيفة ، و اجتهد فيها فى ضوء النصوص الشرعية . على كل فاذا كان الأحناف هم الذين يشكلون غالبية سكان هذه البلاد ، فان الحكمة و الدين

والديموقراطية الحديثة - فان العصر الحديث الديموقراطى يعطى الأولوية ، فيما يتعلق بالتقنين و التشريع فى البلاد ، لمعتقدات الغالبية الساحقة ومذاهبها - كلها تتطلب أن تجعل الفقه الحنفى و الأحكام الحنفية « قوانين شعبية » فى هذه البلاد ، وفى تاريخنا الماضى المجيد شواهد ، فالبلاد التى كانت نسبة الشوافع مرتفعة فيها طبقت الفقه الشافعى ، و البلاد التى كانت غالبية سكانها مالكية - كالأندلس و إفريقيا الغربية - كانت كتب الامام مالك و تلامذته فى الفقه و الأحكام ، هى العمدة فى قوانين تلك البلاد ، و كذلك فالبلاد التى كانت غالبية أهلها حنابلة كان عمادها فى الادارة و القضاء و السياسة هو الفقه الحنبلى .

البلاد الخاضعة للدولة العثمانية ، معظمها كانت حنفية ، فظل الفقه الحنفى هو المطبق رسمياً فيها عبر قرون ، و وضعت آلاف من الكتب الضخام ، فى الفقه و الفتاوى ، و المتون و شرحها ، و حواشيها ، وفق الاجتهاد الحنفى و الفقه الحنفى ، على كل فان تنفيذ القوانين الاسلامية فى باكستان طبق الفقه الحنفى هو شئ يتطلبه العقل و المنطق و طبيعة البلاد و شواهد التاريخ الاسلامى ، لكن هذه الأحكام و المسائل مبعثرة فى ثنايا الكتب الضخام هنا و هناك ، و قد كان السلف و الفقهاء العظام فى الماضى يتوصلون إلى القانون أو الحكم الذى كان يهمهم فى يسر و سهولة ، و دون تعب وعناء كبيرين ، بفضل قوة ذاكرتهم ، وذكائهم ، و كثرة تقليبهم و تصرفهم ، و طول ممارستهم ، فكانوا يعرفون مظان الأحكام و مواطن القوانين ، لكن هذا العصر الذى يقال : إنه عصر الرقى والتقدم لم يعد الانسان يتمتع فيه بمثل تلك الذاكرة القوية ، و الذكاء العجيب ، و لم يعد رجال التشريع و القانون يحملون من قوة الادراك وبعد النظر و الألمعية ما كان السلف يتميزون به ، بالاضافة إلى تنوع الأعمال و تزاحم الأشغال ، و حب السرعة ،

و التعجيل ، الذى جعل الانسان العصرى لا يعمل الأناة و الصبر ، و لا يبذل الوقت و الجهد كثيراً ، و من ثم فالحاجة ملحة أكيدة إلى أن نتناول هذه القوانين بالتدوين الجديد و التنسيق الجديد حسب الضروريات و المتطلبات المستحدثة و أن نجرى فيها عملية الترتيب حسب البنود ، كالقوانين المدنية فى جميع الدول المتمدنة فى العالم المعاصر ، و ذاك شئ لا ينكر إفاديته و مصلحته حتى الصبيان و الأطفال .

هناك شئ دقيق محرج ، أريد أن أعرضه على رجال العلم والبحث ، حتى يدلوا بآرائهم فى ذلك بعد إعمال الفكر و الروية ، و هو أن الشئ الكثير من أحكام الفقه الحنفى ، اجتهادى صرف لا يمكننا أن نجزم بأنه قطعى ، و لا يسوغ لنا أن نزعم أن الأئمة المجتهدين الآخرين ، خلافهم فى ذلك لايقوم على أساس ، لأن الأئمة الأحناف أنفسهم قد قرروا فى أمثال هذه الأحكام قاعدة ، فقالوا :

« هذا صواب يحتمل الخطأ ، و القول الآخر خطأ يحتمل الصواب » .

و يحول بين تنفيذ أمثال هذه الأحكام صعوبات عملية فى العصر الحاضر ، وهى صعوبات واقعية تمس عمق المجتمع و البيئة ، و ليست وهمية لا أساس لها ، لأن هاتى الأحكام وليدة اجتهاد قام به الفقهاء فى ظروف غير هذه الظروف ، وفى بيئة غير هذه البيئة ، كانت الاتصالات والعلاقات التجارية والاجتماعية كلها غير ما نواجهه اليوم ، وكانت العقول و الأفهام غير التى نحملها فى رؤسنا ، وتطورت اليوم طرق التجارة وأساليب التعاطى ، و أحدثت الحضارة الحديثة تحولا بارزاً فى الحياة و المجتمع ، و قطع العلوم و التكنولوجيا أشواطاً بعيدة هائلة من الرقى و التقدم على الصعيد العالمى ، فنرى من الاختراعات و الاكتشافات والابتكارات ما لم يكن للناس قبلنا به عهد ، و كل ذلك أحدث تغيراً ملموساً فى الحياة و الظروف .

فلو رحنا ننفذ هذه القوانين الاجتهادية المجردة بحذافيرها دون إعمال الروية و التفكير فيها ، نخشى أن لا تكون سارية المفعول ، و لا تنال نصيبها من الأخذ و القبول ، لكنها تولد عوائق فى سبيل تنفيذ القوانين القطعية التى لا تقبل التبديل و النسخ . . إذاً فقصارى القول إننا لا نحتاج اليوم إلى الاجتهاد المطلق ، لأنه لا حاجة إلى اجتهاد ، و تحقيق جديد ، وتأمل مزيد ، فيما يتعلق بالأحكام القطعية و الأحكام والمسائل المجمع عليها ، والأحكام الاجتهادية الممكنة التطبيق والاجراء . و لكن تلك الأحكام الاجتهادية الصرفة التى أشرنا إليها ، تحتاج إلى الاجتهاد من جديد ، و إلى البحث و الامعان فيها من جديد ، لكى نتوصل إلى طريق عملى يمكننا من تطبيقها فى الحياة ، و التقصير فى هذا الجانب قد يؤدى إلى نتيجة غير محمودة ، لأن شيئاً كثيراً من القضايا الجديدة و المشكلات الحديثة المتجددة لا تجد حلها الصريح الواضح الشافى فى كتب فقهنا القديمة بعد كل جهد نبذله فى البحث و التنقيب ، و ذلك أن الفقهاء السلف ما واجهوا هذه القضايا على الصور التى نواجهها عليها اليوم ، فما أوجدوا لها الحل ، وما ولدوا لها الحكم . . وإنها لحقيقة لا تقبل جدالا ، أن كل عهد يأتى معه بأحداث و قضايا لم تخطر من أبناء العهود الماضية على بال ، و لم يتصورها فى حال من الأحوال . . و إدراك هذه الحقيقة هو الذى اضطر الملك الصالح ، المؤمن المخلص ، أورنك زيب عالمكير سلطان الهند ، أن يعهد إلى العلماء الأفاضل المتعمقين فى الكتاب و السنة فى عصره بتدوين المسائل الفقهية من جديد فى كتاب يعرف « بالفتاوى العالمكيرية » لأنه رأى أنه يحتاج - من أجل إدارة مملكة واسعة الرجاء مترامية الأطراف فى ضوء القانون الاسلامى - إلى تنظيم الأحكام الفقهية من جديد رغم الثروة المكتشفة من كتب الفقه القديمة ، و دواوين الفتاوى القديمة ، وحقاً إنه صنع عملا عملاقاً ستبقى قيمته

و فضله عبر العصور و الدهور ، فجزاه الله ، و جزى العلماء الذين عملوا فى حقل التدوين أحسن الجزاء عن الاسلام و المسلمين ، و رغم الاعتراف بقيمة ذلك كله أريد أن أستميحكم القول بأن عديداً من المسائل الجديدة و القضايا الحديثة لانجد لها حكماً فقهياً حتى فى « الفتاوى العالمكيرية » أيضاً ، و لهذا فلا يمكن تطبيق « الفتاوى العالمكيرية » على صورته الموجودة دون تمحيص وبحث ، نعم يمكن الاستفادة منه فى التدوين الجديد الذى نتحدث عنه ، و سنجد فيه رصيداً كافياً ، و مدداً وافياً ، و سنداً كبيراً .

و الاجتهاد المشروط المحدود من أجل التوصل إلى أمثال هذه القضايا ، هو حاجة الساعة الملحة ، ونداء الوقت الصارخ ، الذى لا نستطيع أن نطبق عنه آذاننا ، وقد صرح العلامة عبد الكريم الشهرستانى فى « الملل و النحل » أن الحوادث و القضايا التى تتولد من التصرفات الانسانية ، لا يمكن تحديدها ، و من المعلوم أننا لانجد فى الشريعة حكماً صريحاً لكل قضية جديدة ، ولا يمكن أن يكون ذلك ، فاذا كانت الحوادث و القضايا غير متناهية ، و أحكام الكتاب و السنة متناهية محدودة ، و المحدود لا يسع اللامحدود ، علم قطعاً أن الاجتهاد و القياس شئ له قيمته فى كل زمان ما دامت الحوادث متجددة ، و الأحوال متغيرة ، و القضايا مستحدثة ، لأن كل حادث يدعو إلى الاجتهاد .

لما بعث سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه سيدنا أبا موسى الأشعرى والياً على العراق ، بعثه بكتاب يعتبر دستوراً أساسياً للاستفتاء الفقهى فيما يتصل بالقضايا ، فكل جملة منه أغلى من الذهب ، و يمكن منها استنباط بنود القانون الاسلامى ، و فعلا قد استنبط العلماء منها ، و إليك طرفاً منه :

« الفهم و الفهم فيما تلجلج فى صدرك ، مما ليس فى كتاب الله ، ولا سنة

النبي ﷺ ، ثم اعرف الأشباه و الأمثال ، وقس الأمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأثبتها بالحق » (١) :

وجملة القول أن طائفة من القوانين والأحكام الاجتهادية المؤسسة على القياس من الفقه الحنفى ، تحول اليوم بينها وبين تنفيذها عوائق جعلتها ذات تعقيد ، فلورحنا نلح على تطبيقها ، لولد ذلك - من أجل تغير الظروف و المجتمع - اختلالا بنظام الحكم و الادارة ، و اضطراباً و تعقيداً متنوعاً فى المجتمع ، ومن ثم تمس الحاجة إلى أن نتناول هذه الأحكام الاجتهاديه الصرفة ببحث وتنقيح جديد ، وإذا وجدنا عند الأئمة الثلاثة الآخرين : مالك ، و الشافعى ، و ابن حنبل ، قانوناً اجتهادياً ، سهل التنفيذ ، سائغ التطبيق ، أرفق بالناس ، أقرب انسجاماً مع العرف العام أو العرف الخاص ، يتفق مع مقتضى المصالح المرسلة ، يقوم اجتهاده على أساس الاستحسان دون القياس ، فحرى بنا أن نستأثره بالتطبيق و الأخذ . وندرجه فى القانون الاسلامى لدى تدوينه الجديد . و سوف لا تكون بذلك قد انحرفنا عن « الحنفية » وركبنا متن الشطط ، ولا تكون قد أتينا عملا غير محمود لدى الأئمة ، فذاك شئ سمح به الأئمة الأحناف أيضاً ، و الأمثلة على ذلك متضافرة ، لا يسعها المقام ، و سنكتفى باشارة خاطفة :

فقد أخذ الفقهاء الأحناف بالاجماع بماذهب إليه إمام دار الهجرة مالك رضى الله ، فيما يتصل بمفقود الخبر ، و أفتوا بقوله دون ماذهب إليه الامام أبو حنيفة ، وقد أفتوا فى مسائل كثيرة بأقوال الامام زفر رحمه الله الاجتهادية متفادين بما ذهب إليه الامام أبو حنيفة و صاحباه : أبو يوسف و محمد رحمهم الله جميعاً ، كما أخذ الفقهاء المتأخرون بقول الحسن بن زياد رحمه الله فيما يتصل بالمرأة البالغة تنكح غير

(١) إعلام الموقعين ، ج ١ ، ص ٩٩ ، وجمهرة رسائل العرب ، الرسالة ٢١٤.

غير كفوء بغير إذن وليها ، و لم يفتوا بما جاء فى ظاهر الرواية من أن للاولياء أن يرفعوا القضية إلى القاضى ، ويعضدوا دعواهم بالدليل ، وعند ذاك يحق للقاضى أن يحكم بفسخ النكاح إن رأى ذلك ، أما الامام الحسن فيرى أن مثل هذا النكاح لم يقع أصلا ، لقوله عليه السلام : لا نكاح إلا بولى ، وأيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل جاء فى « درالمختار » : « و يفتى فى غير الكفوء بعدم جوازه أصلا ، وهو المختار للفتوى ، لفساد الزمان » وقد علق العلامة ابن عابدين الشامى رحمه الله على قوله : « يفتى بعدم الجواز » قائلا : « هذه رواية الحسن عن أبى حنيفة ، ووجه عدم الصحة على هذه الرواية رفع الضرر عن الأولياء » و علق على قوله : « وهو المختار للفتوى » بقوله : « قال شمس الأئمة : وهذا أقرب إلى الاحتياط ، كذا فى تصحيح العلامة قاسم ، لأنه ليس كل ولى يحسن المرافعة والخصومة ولا كل قاض يعدل ولو أحسن الولى ، وعدل القاضى ، فقد يترك أنفة للتردد على أبواب الحكام و استثقالا لنفس الخصومات فيتقرر الضرر فكان منعه دفعاً له » (١) .

و قد وضع العلامة ابن عابدين الشامى رسالة مفردة فى هذا الموضوع ، أسماها « نشر العرف فى بناء الأحكام على العرف » و تحدث فى تفصيل عن قضية تبدل الأحكام بتبدل الأوضاع ، و عضد بحثه بالدلائل . . و من هنالك نرجو أن إخواننا الأحناف سوف لا يترددون فى ذلك ، ولا يرون فيه غضاضة ولا بدعة . و لكن يجب أن يتم هذا العمل فى ضوء الأصول و القواعد ، و أن يكون القائمون بالاجتهاد أهلا له ، و أن لا يكون الاجتهاد انفرادياً بل اجتماعياً ، حتى لا تواكبه نزوة نفسية أو طموح ذاتى ، أو انهزام نفسى .

(١) « رد المختار » ص ٣٠٥ .

« يتبع »

أضواء على الطريق :

جامعة « البعث الاسلامى »

[آخر مقال كتبه الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله تعالى)
باللغة العربية قبل وفاته بأيام]

تلقينا رسالة رقيقة مشجعة من بعض السادة الأقرباء، ممن لهم شغف كبير بمجلة « البعث الاسلامى » منذ صدورها ، وعطف شديد عليها ، و إعجاب بها ، و ماهو إلا الحب ، و للحب عجائب ومذاهب و ألوان ، و قد وقع هذه الرسالة التاريخية بقوله « الطالب بجامعة البعث الاسلامى » ثم كتب اسمه ، و قال لى يوماً فى بعض المناسبات : إن « مجلة البعث الاسلامى » ليست مجلة فحسب ، إنها مدرسة أو جامعة بالنسبة إلى ، فقـــد أتعلم فيها و أحضر فصولها شأن الطالب المنتظم فى فصل من فصوله الدراسية فى أى كلية من الكليات .

وساقنى هذا التوقيع الغريب إلى أمنية حالمة ، ثم تحولت هذه الأمنية إلى حلم لذيذ يراه الانسان فى يقظته و فى كامل شعوره ، رأيت أننى فى مكة المكرمة و قد بدت تباشير الصباح الوادع الجميل ، ثم أرسلت الشمس خيوطها الذهبية على منارات الحرم الشريف ، و رأيت جامعة « البعث الاسلامى » الشامخة العتيدة ـ و لكنها تخضع رأسها إجلالا وتكريماً لبيت الله العتيق ـ أقيمت مبانيها غير بعيد من أسوار الحرم ، ولمحتها فاذا هى من الطراز الاسلامى الرفيع مزج فيه الفن المعمارى الأندلسى و المغولى و المغربى وغيرها من فنون العمارة الاسلامية بتناسق بديع فجاءت اية فى البناء الاسلامى المتكامل الشامل ، عليها مسحة من البساطة و الوقار ، و الجمال والجلال ،

وأحسست فى قرارة نفسى كأن هذه الجامعة تدعونى إلى زيارتها فدخلت فيها و وجدتها كاملة العدة و العتاد ، و وجدت فيها كلية الطب و كلية العلوم وكلية الهندسة وكلية للطاقة النووية و غيرها ، إلى جانب الكليات الخاصة بالعلوم الاسلامية . . و ظننت أن هذه الكليات الفنية قد تكون متحررة إلى حد كبير من الطابع الاسلامى على عادتها ولكنى وجدتها تدرس هذه المواد العلمية كلها من منظور إسلامى أصيل ، لافيها تحجر و لا فيها ميوعة . . و هبت على نفحة من نفحات الايمان ، وغمرتنى موجة من السرور ، و استبشرت خيراً و قلت فى نفسى إن قيـام هذه الجامعة يعنى أن المملكة تريد أن تواكب المـــد الاسلامى و ترى أن يكون البعث الاسلامى منبعثاً من بلد الله الحرام ، من مهبط الوحى ، من هذه الأرض الطيبة التى بعث فيها رسول الله ﷺ بشيراً و نذيراً ، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً .

دخلت الجامعة و تفقدت سائر مبانيها ، ومرافقها ، و أجنحتها . . و أجهزتها فوجدتهـا كلها ذات طابع إسلامى بارز ، صممت تصميماً دقيقاً لتتمشى مع حاجة الطالب المسلم . . حاجة علمه وحاجة روحه وحاجـــة جسمه و حاجة قلبه .

ورأيت عناية بالغة بتعليم اللغات الأجنبيـــة و رأيت كثيرا من الطلاب العرب يتقنون اللغات الأوربية واللغات الأردية و الفارسية والتركية .

و رأيت فى هذه الجامعة بساطة فى كل شئ و ثقافة فى كل شئ ، واحتفاظاً بالمواعيـد و عكوفا على العمل ، ومحـافظـــة على الصلوات ، وتوسعاً فى الجزئيات وحرصاً على شرف الدعوة ، و نزاهتها ، وعاطفة جياشة لحمل راية الاسلام ولواء البعث الاسلامى فى العالم المعاصر ، ومسرحيات إسلامية ، و فنوناً إسلامية وآداباً إسلامية ، رأيت الطالب المسلم متمسكا بالسنة شغوفاً بالقرآن و الحديث ، حريصاً على العلم من كافة نواحيه ليستخدمه فى تحقيق هدفه الكبير ، ملتزماً بالرياضة البدنية

و الألعاب الرياضية الى حد الضرورة لا إلى حد الهوس والجنون مهتما أكثر بالتدريب العسكرى و التمرين على ضرب الأهداف و استعمال الآلات ، متشبعاً بروح التضحية و الجهاد ، جديراً بالمقاومة و مواجهة العدو بكفاءة و نجاح فى حالات الطوارىء أو الهجوم المفاجىء . رأيته صورة حيـة متحركة للاسلام تشم فيه رائحة الايمان وسيماء الطهارة والعفاف و ترى على جبينه ملامح الهمة و الطموح ، و تجد فى عيونه بريق الأمل و التفاؤل .

و رأيت كلية مستقلة لدراسة معالم النهضـة ، الاسلامية المعاصرة و البعث الاسلامى الجديد فى باكستان ، وإيران وتركيا وأفغانستان . ومتابعة هذا الامتعاض الشديد و الاستنكار الواضح للشعوب العربية المؤمنة و شبابها الجامعى المثقف بوجه خاص ، نحو قياداتها .

و لمست فى المسئولين و المشرفين على الجامعة ، اعتناءاً رائداً و اهتماماً بالغاً بالتطبيق . . و الانجازات السريعة و تعويد الطالب على الجد و الاجتهاد ، و التعب و الكدح ، و استنفاد قواه العلمية و العملية بكامل انسجام و اتساق .

وجدت هناك معملا ضخماً للعلوم الكونية و التكنية المتطورة و تشجيعا كبيراً للمتفوقين فى هذا المضمار . .

و رجعت و أنا مسرور بما رأيت . مغتبط بهذه المأثرة الجديدة للمملكة السعودية فقد كان من الواجب أن تكون فى مكة المشرفة جامعة كبيرة كهذه الجامعة و كان المعقول اللائق أن تحمل هذه الجامعة اسم جامعة « البعث الاسلامى » تفاؤلا بالنهضة الاسلامية المباركة ، و حرصاً على أن تكون للبلاد العربية ولهذه البلاد المقدسة فيها نصيب الأسد ، يتخرج منها الطالب المجاهد المتسلح بالعلم ، المعتز بالايمان ، المتعود على حياة الجهاد و المجاهدة ، القادر على الاختراع و الابتكار ، الخبير

بتطورات العصر ، و نفسية الجيل و أدواء الحياة ، و أمراض الحياة الغربية الفتاكة التى جعلت أهلها فى جحيم لا تطاق .

و لما أفقت من هذا الحلم اللذيذ ، وخرجت من الباب الرئيسى ، رأيته محاطاً بمروج خضراء و حدائق غناء وزهور حسناء شأنها فى داخل الجامعة و فى ساحاتها و أجنحتها وأقسامها ، وقلت : ياليت هذا الحلم يتحقق فعلا ، و يتحقق فى البلد الأمين و تكون هذه الجامعة رمزاً للبعث الاسلامى الذى لا يعرف الحواجز و السدود و الأغلال و القيود ، و الذى طلع نجمه فى جنوب شرق آسيا ، فهلا طلعت شمسه فى مهد الاسلام و بلد الله الحرام و هو أحق بذالك و أهله ، ثم رجعت بتصورى إلى صاحب الرسالة الذى أوحى إلى بهذه السطور ، و شكرته على رسالته الكريمة التى دفعتنى على هذا الاقتراح ، و أرجو أن يكون موضع دراسة جادة ، وعناية لائقة ، و بالله التوفيق .

محمد الحسني

الأستاذ محمد الحسنى (رحمه الله تعالى) كما يراه عمه الجليل سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

[هذا المقال مقدمة لكتاب « الاسلام الممتحن » الذى صدر بقلم المغفور له الأستاذ محمد الحسنى منذ سنتين ، وكان له دوى فى أوساط الشباب الاسلامى و الدعوة الاسلامية ، و صدرت له طبعات متلاحقة .

و كان سماحة عمه الجليل وأستاذنا الكبير الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى كتب تقديماً قيماً لهذا الكتاب يحتوى على نبذة يسيرة من سيرة المؤلف وترجمته ، ويلقى ضوءاً على مواهبه وكفاءاته التى رفعت مكانته و وضعته فى الدرجة الأولى من دعاة الاسلام و مفكريه ، رحمه الله أوسع و أشمل رحمة] .

« سعيد الأعظمى »

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله .

أما بعد، فقد بقيت فترة من الزمن، أتهيب تقديم هذه المجموعة من مقالات ابن أخى محمد الحسنى ، التى أسماها « الاسلام الممتحن » ، وما كان تقديم الكتب و المؤلفات لمشاهير الكتاب و المغمورين منهم ، بدعا من الأمر ، بالنسبة إلى ، حتى خفت أن يطغى التقديم على التأليف ، و اتهم بالتوسع و السخاء فى تقديم الكتب و تصديرها . و ما ذلك إلا لأن الصلة بينى و بين صاحب هذا الكتاب صلة الأب بالابن و الأستاذ بالتلميذ ، و كنت أشعر - وأنا أحدث نفسى بكتابة

هذا التقديم - بأنى أقدم لكتب من كتبى ، و أتورط بذلك أحياناً فى الاعتراف لنفسى بالاجادة و التوفيق و التهنئة و التقريظ ، وذلك مما لم تستحسنه الشرائع ، و علم الأخلاق ، و الآداب السليمة ، و تحاشيت عنه بقدر الامكان .

ثم حاسبت نفسى على هذا الشعور ، محاسبة أمينة محايدة ، و حللته تحليلا نفسياً ، فوجدت أن نصيب العاطفة فيه أكبر من نصيب العقل ، و الخوف من قالة الناس و حديثهم قد غذى هذا الشعور ، و أفاض عليه لوناً خلقياً ، ورأيت أنى إذا استسلمت لهذا الشعور ، فقد فرطت فى تأدية أمانة و القيام بشهادة ، و الشهادة للأقربين ليست أقل وجوباً من الشهادة على الأقربين ، فان الله تعالى حين يقول : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، و لو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين » (١) فانه يقول كذلك : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً (٢) .

ثم إن قصة البيئة التى نشأ فيها الكاتب ، و العوامل التى كونت هذه العقلية التى صدرت عنها هذه الفكرة ، و الدوافع التى دفعته إلى كتابة هذه المقالات ، و التركيب النفسى و المزيج الثقافى الحضارى الذى ورثه عن آبائه ، و تلقاه من مجتمعه ، و الأحداث الجسيمة الأليمة التى وقعت فى الوطن الاسلامى الكبير ، فعاصرها و عاشها ، و اكتوى بنارها ، و ساهم فى عارها ، لا يحسن حكايتها إلا من شهد فصولها ، و خاض معركتها ، وساير ركبها ، و قد كان فى بعض الأحيان شاهد عيان ، و السابق إلى الميدان .

إن صاحب هذه المجموعة نشأ فى بيئة آمنت بأن الاسلام هو رسالة الله

(١) سورة النساء الآية : ١٣٥ (٢) سورة النساء الآية : ٥٨

الأخيرة الخالدة ، و أنها هو الحق الذى ليس بعده إلا الضلال ، و السعادة التى ليس وراءها إلا الشقاوة ، و أنه للانسانية كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها و آوى إليها ، وأن نهاية كل من استغنى عنها و اعتصم بجبل ، نهاية ولده الشارد المارد الذى قال : « سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » و كان جواب نوح « لا عاصم اليوم من أمر الله » و كانت عاقبته أن حال بينهما الموج فكان من المغرقين .

و آمنت بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى ﷺ خاتم الرسل ، و إمام الكل ، و منير السبل ، لكل عصر و لكل جيل ، وأن الله قد ربط مصير العرب بمصير الاسلام ، وعقد ناصيتهم به ، فلا عز لهم ولا سعادة ، و لا نهوض لهم و لا قيادة ، إلا بالانضواء إلى رايته ، و الانصهار فى بوتقة تعاليمه ، و التفانى فى سبيله ، وأن أعدى عدو لهم من ينادى بالجاهلية ، و يهتف بالقومية و العنصرية ، أو الوطنية و الاشتراكية ، أو فلسفة من الفلسفات الملحدة ، فيحاول أن يحول بينهم و بين الاسلام .

و آمنت بأن الاسلام وحدة لا تتجزأ ، و منهج للحياة كامل شامل ، و أنه عقيدة و أخلاق ، و سياسة و علم ، و عقل و عاطفة ، و حضارة و ثقافة ، و له موازينه الخاصة و قيمه المعينة ، و مقاديره المحدودة ، و مقاييسه المعروفة ، و لا يحتاج إلى تلفيق أو تطعيم ، أو مساومة أو تنازل .

إنه قد عاش فى ظلال تاريخ الدعوة الاسلامية ، و قصة بطولاتها ومعجزاتها و صنائعها وعجائبها ، تتلى فى بيته و أسرته الملاحم الاسلامية التى نظمها بعض أفراد أسرته المتقدمين فى الشعر الأردى القوى المثير ، مقتبسة من فتوح الشام للواقدى ، و الأغانى الشعرية الخاصة بالسيرة النبوية وأخبار الصحابة وفضل الحضارة الاسلامية

و دور العرب فى بناء العالم الجديد . و إنقاذ الانسانية من أعدائها ، فامتزج كله بلحمه و دمه ، و تكونت به عقليته و نفسيته . و أحب الرسول و أصحابه والعرب حباً لا يمكن تجريده منه فى مرحلة من مراحل الثقافة ، وفترة من فترات الحياة ، و فى بيئة من البيئات . و أصبح هذا الحب ، و هذه العاطفة . تلهب شعوره ، و تدفق قريحته ، و تجرى قلمه ، و أصبحت له مصدر الالهام و منبع الايمان و الحنان .

إنه ولد فى أسرة كان شعارها منذ زمن طويل ، الجمع بين العقيدة السلفية النقية ، و بين الربانية الصحيحة الصافية ، و بين الزهادة و العبادة ، و بين بذل الجهد لاعلاء كلمة الله و رفع راية الجهاد حيناً بعد حين ، و السعى الحثيث فى الجمع بين إشراق القلب و صفاء الروح و قوة العاطفة ، و بين التفنن فى العلوم و الذوق الأصيل للأدب و الشعر . و أورث كل ذلك من تراث و تاريخ و دم و عرق تقديره لاكسير الحب و قوة العاطفة ، و سلم بذلك من الجفاف الروحى و الاستخفاف بالعاطفة و الحاجة إلى تزكية النفس و الشحنة الايمانية الروحية ، الاستخفاف الذى أصبح شعار الكتاب و الدعاة فى عصره ، الذين نشأوا بعيدين عن هذه البيئة الجامعة و التربية المزدوجة .

إنه نشأ و ترعرع فى عصر تغنى بشعر إقبال ، وكانت له فيه دولة وصولة ، و هو شعر الحب و الطموح ، و شعر الايمان و الحنان ، و شعر الثقة بصلاحية الاسلام ، و الايمان بخلوده فأساغه عقله المتفتح وذوقه الناشى ، و جعله جزءاً من أجزاء ثقافته و أساساً من أسس تفكيره .

إنه نشأ فى حجر والد مؤمن جمع بين سلامة العقيدة و قوة الايمان والقلب المتفتح و العقل النير الواسع ، و العلم الحديث الأحدث و حب الواقعية و الجد ،

لا يرى تناقضاً بين العلم والدين و القديم و الحديث ، و قد اقتبس من الثقافتين القديمة و الحديثة و الغربية والشرقية ، أفضل عناصرهما وأجملها ، فمزج بينها مزجاً جميلا ، فأصبح برزخاً بين بحرين لا يبغيان ، شديد الحب لله و لرسوله و لعشيرته و قومه و للغتـــه و بلاده ، شديد البغض شديد البراءة عن كل ما يخالف الدين الحنيف من عقائد و أعمال و فلسفات و اتجاهات ، عميق الفهم للاسلام ، و ثيق الصلة بمنابعه الأصيلة الصافيـــة ، شديد الغيرة على الاسلام ، عظيم الحب لمركزه و مقدساته ، متقشفاً فى الحياة الفردية ، متوسعاً فى فهم القضايا العلمية والاسلامية ، شديداً فى الحدود و النصوص ، مرناً فى المباحات و الاستفادة بالحكمة والتجارب .

ذلكم أخى و أستاذى و مربى عقلى و ثقافتى ، ذلكم والد هذا الكاتب العزيز الدكتور عبد العلى بن العلامة عبد الحى الحسنى .

نشأ هذا الشاب تحت ظلال هذه التربية وفى حجر هذه البيئة ، ثم لما عقل وثقف و عاصر الأحداث فتح عينيه على مجتمع إسلامى حائر بين الاسلام والجاهلية و الدين و العلمانية ، قادة الفكر فيه مذبذبون و أولياء الأمور فيـــه مضطربون ، وأكثرهم منافقون ، يتخذون الدين حيلة و وسيلة للوصول إلى أغراضهم ، والهتاف بالاسلام سلماً للوصول إلى كراسى الحكم ، و قنطرة للعبور إلى شاطىء السيادة و القيادة والركوب على أعناق الشعوب المسلمة الساذجة التى لا تفهم إلا لغة القرآن و الحب و الحنان ، و لا تتحرك و لا تتحمس إلا بحكاية الصحابة و أبطال الاسلام و فضائل الجهاد و الشهادة .

إنه أحب اللغة العربية من صباه ، و حب الصبا شديد وأحب أبناءها وكل ما يمت إليها بصلة ، و كان يتمثل العرب فى قصص الرعيل الأول للاسلام وطليعة الدعاة و المجاهدين ، الذين سمع حكايات بطولاتهم و فدائهم فى قصائد الملحمـــة

الاسلاميـــة ، فآمن بأنهم لا يزالون سائرين على دربهم ، لا يعدلون بمحمد ﷺ إنساناً ، و قائداً ، و إماماً ، و لا يعدلون بالاسلام ديناً ، و منهجاً ، و بالقومية الاسلامية قومية ، فلما صار يعى و يشدو ، و يقرأ و يكتب ، فتح عينيـــه على كتابات للعرب ، لو كتبت تحتها أسماء الكتاب الأوربيين و المؤلفين المستشرقين والدعاة المنحرفين لم يكن بعيداً و لما كان بين هذه الكتابات وبين شهرة هؤلاء الكتاب ودعوتهم فجوة ومنافاة . رأى أن كثيراً من هؤلاء الكتاب العرب ينظرون إلى الاسلام كدين أدى دوره ، و بطارية قد نفدت شحنتها ، فليس من العقل و الكياسة التشبث به و الدعوة إليه . و مواجهة الواقع و العصر الراقى بحلوله و أحكامه . و خيرهم من ينظر إلى الاسلام كدين من الأديان الكثيرة ومنهج للحياة من مناهجها المتنوعة ، و خير أحواله أن يسمح له بالبقاء فى دائرة ضيقة محدودة وفى حياة فردية سلبية .

وكان كل ذلك مفاجأة أليمة لم يكن يتوقعها بل لم يكن يتصورها فى بيئته التى صورت له الاسلام كدين حى خالد ، خليق به ليقود و يسود ، و العرب كرائد أول و قائد أفضل لهذه الدعوة الاسلامية ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكانت صدمة عنيفة لعقله و قلبه .

ثم جاءت الفترة الحاكمة التى هبت فيها عاصفة القومية العربيـــة الهوجاء فى الخمسينات الأولى ، وقع أكثر أبناء العرب و شبابهم و كثير من كهولهم و علمائهم تحت تأثير قيـــادة ترى التخلص من أثر الاسلام فى النفوس و العقول و الحياة الاجتماعية و السياسية أهم وأقدم من محاربة الصهيونية واستعادة المقدسات الاسلامية و ترى إزالة هذه الأنقاض أو الركام - على حـــد تعبيرها - شرطاً لبناء المجتمع الجديد ، و إزالة آثار العـــدوان الأجنبى ، و تحل القومية العربية و الاشتراكية العلمية محل العقيدة الاسلامية والدعوة الاسلامية ، لها كل ما للدين من إيمان وحماس

من إيمان و حماس ، و عصبية و حميـــة ، و تعتمد على الهتافات و الدعايات ، و الدعاوى الفارغة ، ما لا تعتمد على السلاح و القوة الحربية و الروح المعنوية و الايمان الراسخ ، و كانت فتنـــة عمياء ، أعمت ، و أصمت ، و سحرت العقول و النفوس ، و قلبت الحقائق ، و أنكرت البديهيات ، و كانت موجة عارمة ، فى الشرق العربى ، اكتسحت الصحافة و الأدب ، و دور العلم و مراكز النشر ، و ما صمد فى وجهها إلا أفراد قلائل يعدون على رؤوس الأصابع ، وكانت مجابهتها و نقدها العلمى مثل « كلمة حق عند سلطان جائر » فقد تجاوب معها الشباب المتحمس الطموح ، و الصحافة القوية التى سميت فى الغرب بـ « صاحبة الجلالة » .

فى كل هذه الظروف و الملابسات الدقيقة المثيرة و فى هذه البيئة الحساســة المكهربة أمسك الكاتب الناشئ صاحب هذه المجموعـــة الذى كان لا يزال فى شرخ الشباب قلمه ليخط مقالات افتتاحيـــة لمجلة « البعث الاسلامى » التى كان يرأس تحريرها على حداثة سنه ، ليعبر عن شعوره الجريح الفياض ، و قلبه المكلوم المتألم ، و يدافع عن الفكرة الاسلامية التى آمن بها ، و احتضنها و أحبها ، ويذكر العرب بصفة خاصة برسالتهم و بتاريخهم وبمركزهم فى العالم ، و ميزاتهم بين الأمم ، و بالدور الذى يستطيع الاسلام أن يمثله فى هذه المعركة الحامية ، والساعة الدقيقة الحاسمة ، و الدور الذى يجب أن يمثله العرب ، على المسرح العـالمى الذى أصبح مركزاً للمسرحيات الهازلة والتمثيليات السخيفة ، و كانت الأمم و البلاد كرة دائرة ودمى متحركة فيها ، لا تملك إرادة ، و يذكر المسلمين برسالة الاسلام الأصيـلة الخالدة و فضلها و قيمتها و العناصر التى تركبت منها و حاجـة الانسانية إليها ، و ينقل إليهم همساتها و دقات قلبها ، حين تراهم قد تخلو عن مركزهم فى القيـادة و جروا وراء القيادات الزائفة ، و تطفلوا على مائدتهـا ، و يدعو إلى الاسلام

الكامل الذى يعطى كل ذى حق حقه ، و ينير العقول ، و يشعل مجامر القلوب ، و يهذب الأخلاق ، و ينظم الحيـاة و يضبط الأمم ، و يقود المدنية ، و يشعل المواهب ، و ينشئ الرجال و يربى القادة و العباقرة ، لا هو جاف خشيب ، ولا هو رقيق مائع ولا هو رهبانية وهجر للدنيا ، ولا هو مادية و نهامة للحياة ، إنما هو الدين الذى جاء به محمد - ﷺ - و نطق به القرآن ، و تمثل فى حياة الصحابة ، و القرون المشهود لها بالخير ، والتابعين لهم باحسان ، من الجامعين بين العقل و القلب و العقيدة و العمل ، و الجهاد و الربانية .

و كان متأثرا فى كل ذلك بطبيعة الحال بالبيئة التى نشأ فيها ، و دعوة المجدد الكبير والمجاهد العظيم السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد الذى كان من سلفـه وعظماء أسرته فى الماضى القريب (١) و بفكرة « الاخوان المسلمون » و رائدهم الامام الشهيد حسن البنا الذى تعرف به وأحبه عن طريق عمه كاتب هذه السطور ، الذى كان له صلات وثيقة بأصحاب هذه الدعوة و زملاء الفقيد الشهيد و تلاميذه النجباء فتجلى تأثير كل هذه العوامل القوية والدراسات العصرية و مطالعة الكتابات الاسلامية التى انتجتها هاتان الحركتان القويتان ، فى المقالات التى كتبها بين آونة و أخرى ، و تتكون بها هذه المجموعة .

و أحدثت هذه الجوانب المتناقضة - جانب تربيتـــه و دراسته الاسلامية وجانب الواقع المرير والمشاهد القاسى ، صراعاً فى نفسه حول قلمه إلى شلال يتدفق بقوة ، و ينحدر بقوة ، فصدرت هذه المقـالات ، فى أسلوب قوى ملتهب ، هو نتيجة كل صراع نفسى ، رافقته قدرة بيانية ، وقلم سيال رشيق ، و ثروة لغوية ،

(١) ليراجع للتفصيل كتاب « إذ هبت ريح الايمان » لكاتب هذه السطور ، طبع دار الرسالة ، بيروت .

و هذا الأسلوب له قيمته فى إيقـــاظ الشعور و فى تحريك النفوس و العقول ، و محاربة « مركب النقص » و إعادة الثقة بصلاحية الرسالة و الأمة و الاعتزاز بالقيم و المفاهيم، خصوصاً إذا كان مدعماً بالدلائل والوثائق ، و مسلحاً بالشواهد و التجارب ، و هى طليعة كل إصلاح و انقلاب ، و رائد كل نهضة و تقدم ، و هو الأسلوب الذى استعان به الخطباء و الكتاب فى العصر الاسلامى الأول ، و استعان به السيد جمال الدين الأفغانى و صاحبه الشيخ محمـــد عبده فى مقالات « العروة الوثقى » التى أشعلت العالم الاسلامى حماساً و حمية ، و حملت الحكومات الغربية الاستعمارية على منع دخولها ، فى الأقطار التى كانت تحكمها ، ولعبت دوراً لا يستهان بقيمته فى إيقاظ الشعور الاسلامى و إيجاد الوعى السياسى .

مع هذه السمة البارزة لهذه المقالات فانها تدعو إلى التأمل العميق ، وتغذى الفكرة ، و تفتح آفاقاً جديدة للفكر الاسلامى ، و تزود العاملين فى مجال الدعوة و الفكرة الاسلامية ببعض معلومات جديدة ، و وثائق و حقائق عن الحضـــارة الغربية ، و الفلسفات المادية ، و مدى إفلاس الغرب واحتياره و سآمته و خوائه الروحى ، و ما يعانيه من أزمات و عقد و مشكلات ، فان الكاتب يعيش فى بلد قد اكتوى بنار الغرب ، و خاض المعركة الفكرية الحضارية السياســـية التى قامت و حميت فى شبه القارة الهندية ، ثم خرج منها الشعب المسلم محتفظا بجزء كثير من شخصيته ، معتزاً بحضارته و قيمه ، خبيراً بمواضع الضعف فى الغرب و مساويه ، و قصة فشله و إخفاقه ، فى حل القضايا المعاصرة ، فأكسبه كل ذلك ثقة بدعوته ، و قوة فى كتاباته ، و قيمة لما يقول و يدعو إليه .

و أخيراً يجب أن أشير إلى أن قوة الكتابة و الحماس فى التعبير و الاقتدار

على ناصية البيان ، الخصائص التى احتظى بها المؤلف قبل أن يخرج إلى أى بلد عربى ، و التى كانت مبعث حيرة و استغراب لدى كباره ومعاصريه جميعاً ، بل كانت تعتبر اكتشافاً جديداً عندهم ، و كذلك ارتجاله الكتابة حول موضوعات هامة فى تعبير بليغ و أسلوب مؤثر ، كل ذلك ليس نتيجة بيئته التى نشأ فيها ، ولا علاقة له بذلك التعليم المحدود الذى تلقاه من والده العظيم ، بل إنها موهبة من الله سبحانه خاصة به ، و لذلك فان التأثير الكبير فى كتاباته و القدرة الساحرة فى بيانه ليس أى ذلك نتيجة لقوة القلم و بلاغة التعبير وحدها .

هناك عدد كبير من الكتاب و أصحـــاب الفكر فى الدول العربية خاصة فى مصر و الشام ، الذين لغتهم الأم عربية و الكتابة بالعربية مهنتهم التى يمارسونهـــا ليل نهار ، إلا أن كتاباتهم تخلو من تلك الحلاوة والحرارة والقوة التى كانت تتزين بها كتابات هذا الكاتب الهندى والداعية الشاب ، وإنها ليست إلا ثمرة لما كان يعيش فى نفسه من حرارة ولوعة فى سبيل الحق ، و يحق له أن ينشد بلسان حاله بيتاً من شعر إقبال ، معناه :

إن القلب هو الذى يغذى كلامى بدمه القانى ، و إن عروق قيثارتى تجرى فيها دماء قلبى » .

و إنا على فراقك لمحزونون يا أخى محمد !

فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى

لقد فجعنا قبل أيام بحادث محزن شديد وقع لأسرتنا الاسلامية الواسعة بوجه عام ولأسرة العاملين للدعوة الاسلامية بوجه خاص، وهو حادث وفاة أخى الحبيب السيد محمد الحسنى الندوى، تتقطع قلوبنا ألماً عندما تتبين أنه لم يعد الآن موجوداً بين ظهرانينا.

لقد كان السيد محمد الحسنى كاتباً ألمعياً، و داعية مفكراً، وصحفياً نابغاً، تشهد بذلك مآت من مقالاته التى حملتها صفحات الافتتاحيـــة من « البعث الاسلامى » وسعدت « الرائد » كذلك بسلسلة منها تحت عنوان « الأضواء »، وبهذه الافتتاحيات و الكلمات عرفته و أحبته ألوف من العاملين فى مجالات الدعوة الاسلامية والفكر الاسلامى، و أحبه الشباب الاسلامى فى مختلف الديار و الأقطار بوجه خاص، وبذلك لم يبق السيد محمد الحسنى عضواً عادياً من عائلته الحسنية فى لكهنو الهند، حتى تكون شهرته قاصرة بين أعضاء عائلته ومدرسته و بين أصدقائهم، فلا يستحق التقدير و المحبة إلا منهم وحدهم، بل إنما تجاوزت محبته إلى ألوف من أعضاء الأسرة الاسلامية الكبيرة المنتشرة فى العالم، وخاصة فى الشرق الاسلامى، فكل عامل للدعوة الاسلامية فى الجيل الصاعد اليوم يعرفه، وكل قارىء للصحافة الاسلامية يحبه.

أربع و أربعون سنة عمر قصير، و لكنه ازدان بالعمل الاسلامى المفيد، إن هذا العمر و إن كان غير فسيح فى الاستطالة، ولكنه امتد و طال فى العمق لضخامة و قيمة العمل الذى قام به.

أنشأ السيد محمد الحسنى مجلة « البعث الاسلامى » لسان الدعوة الاسلاميـــة

الجريء، و حلى جيدها بافتتاحياته القوية المؤثرة، كتبها طيلة ثلاث و عشرين سنة ماضية، كان آخرها فى العدد الماضى الخاص الذى صدر على نهاية السنة الثالثة والعشرين من المجلة، و هى من أقوى افتتاحياته.

حادث شديد وخسارة كبيرة فى مجال العمل الاسلامى، فقد سقط ذلك القلم المجاهد الجريء الجميل الذى كان يدك صروح الضلال والطغيان ويبنى صرحاً إسلامياً من الفكر الاسلامى النبيل، سقط هذا القلم فى ليلة الخميس ١٨/ رجب عنـــد مفارقة صاحبه لهذه الحياة العاجلة ولحوقه بربه الأعلى، فإنا على فراقك لمحزونون ياأخى محمد، رحمك الله رحمة واسعة وجزاك على جهادك أفضل الجزاء.

لقد كان السيد محمد الحسنى يتحلى بصفات من الكرم، ورحابة الصدر، والمروءة الجميلة، والتعاطف الاسلامى، والاخوة والمحبة، كان كبيراً فى نفوس الآخرين، صغيرا عند نفسه، إنه كسب من الناس نظرة تقدير له وحب، حتى من الذين هم أكبر منه سناومنصباً، فقد كانوا يعاملونه معاملة الحب والاكرام.

لقد كان جد السيد محمد الحسنى عالماً كبيراً محبوباً لدى أهل العلم والدين، وهو المؤلف الكبير العلامة السيد عبد الحى الحسنى، وكان والد السيد محمد الحسنى عالماً محبوباً أيضاً، و هو الشيخ الدكتور عبـــد العلى الحسنى الأمين العام السابق لندوة العلماء، أما عم السيد محمد الحسنى فيعرفه الجميع، و هو فضيلة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى الداعية و المفكر الاسلامى المعروف، فكيف لايكون السيد محمد الحسنى نموذجاً طيباً من العلم و الدين و الأدب، و قـــد كان زهرة فريدة من شجرتهم كان وحيد أبيه وعمه، ولقد عظم المصاب حيث إن هذه الزهرة اليانعة قد فارقتنا و هى فى شبابها و أواسط عمرها.

كان السيد محمد الحسنى أخى الحبيب ابن خالى الحبيب، فكيف أرثيه إنه لا تملك النفس فى مثل هذه الحال إلا أن تفزع إلى الله، وتبتهل إليه بدعوات المغفرة و الرضوان للفقيد، و الصبر و السلوان لذويه، و إنا لله وإنا إليه راجعون ».

العالم الاسلامى :

الجيل الضائع . . بين الحق و الباطل

الأستاذ سعيد الراجى

معلوم أن كل حق يقابله واجب . . ففى حقوق الزوجية مثلا . . يعتبر حق كل من الزوجين واجباً على الآخر . . و الموظف العام أو الخاص واجباته هى حقوق الناس .

و السؤال الذى يهمنا هو : هل أحصل على حقوقى أولا لأؤدى واجبى ؟ أم أؤدى واجبى ثم أسأل عن حقوقى . . أم أؤدى واجبى دائماً . . و لو قصر الناس فى حقوقى . . دائماً . .

لنضع الواقع أمامنا حتى نجيب على هذه الأسئلة . ، هل يمكن أن يكون تقصير الزوج مبرراً للزوجة ألا تؤدى حق بيتها و أولادها . . و زوجها أيضاً ؟ و إذا كان الأمر كذلك . . فما ذا لوا لو تاب و أناب ؟ و إذا لم يتب . . أليس لها الأجر من ربها . . فضلا عن أنها كسبت تربية أبنائها رغم كل الظروف ؟

و يقابل ذلك هل يمكن أن يكون تقصير الزوجة مبرراً للزوج بعدم النفقة على بيته ؟ . إننا نرى أنه فى كلا الحالين . . الضحية هم الأولاد . . ثم المجتمع . . لأن الأولاد إما أن يتحولوا إلى مجرمين حاقدين على الناس لأنهم ضاعوا على أيدى أعز الناس عندهم . . و إما أن يكونوا نجباء جادين و لكن تعتورهم بعض العقد ، فاذا ما قادوا يوماً ما سفينة الأسرة ضيعوا فيها الأولاد ، و إذا ما حملوا يوماً ما

مسئولية عمل ضيعوا فيه مرؤسيهم . . لأن الذى ينشأ فى بيت ضائع . . لاتتوقع منه إلا أن يضيع من بعده - إلا من تغمده الله برحمته - يضيع الناس ومصالحهم باللامبالاة و عدم الشعور بالمسئولية ، لأنه فى صغره لم يجد النموذج الذى يعلمه تحمل المسئولية .

حق أولا . . ثم واجبى ثانياً . . انتقلت عدواه من الأفراد إلى سياسة الدول ، لأن الدول مجموعة أفراد . . و سياستها انعكاس للتربية والفكر السائد بين الناس .

فالدولة بدلا من أن تؤدى واجبها فى بناء شعبها تعمل على هدمهم . . كيف ذلك . . ؟ ليس البناء كما يظن البعض رصف الطرق و تشييد الكبارى و المدارس والمستشفيات ورسم خطة تنمية طموحة فحسب . بل قبل ذلك وأهم منه بناء الأفراد من الداخل . . و لن يبنى الفرد من الداخل إلا بممارسة سلوك جاد و فكر قويم و لن يختار الجاد من السلوك و القويم من الفكر . . إلا صاحب خلق فاضل . . و لا يكون الخلق فاضلا إلا بعقيدة صحيحة ترجو رحمة الله . . و تخشى عذابه .

لا أدرى كيف تقوم الحكومات ببناء مدرسة تزعم أنها تربى من خلالها ، ثم تقدم برامج تلفزيونية تشغل باقى اليوم بفيلم خليع ، وأغنية رقيعة ، و تبث قيماً منحلة . فتفسد ما تم بناؤه فى المدرسة أو المسجد إن كان هناك بناء . . و مع ذلك فأجهزة الاعلام ملك للدولة ؟ ! ثم تزعم الحكومة أنها تسعى إلى تحرير الأرض وبناء الفرد . . الدولة تقوم بايقاظ مشاعر الجنس عند الناشئة ، بل وعند الكبار أيضاً ، و تبث قيم المنفعة بين الناس . فهل نتوقع من فرد يسمع ويرى الفساد ملوناً فى بيته ألا يسعى للفساد . . و هل نتوقع ممن لا يحافظ على عفته أو عفة الناس . أن يكون عفيفاً فى الأموال ، . و هل نتوقع من مجتمع انشغل معظمه بين لذة الجنس أو لذة جمع المال أن يكون مجاهداً . الأمر طبيعى . . أن

نشعر بالخوف من أعدائنا . وأن يكبر أمرهم فى نفوسنا . . ونقول إنها دول عظمى وكبرى فكيف لنا . لا . . ؟ إنها الهزيمة من الداخل . . إنها حب الدنيا والخوف من ضياع الملذات .

هل تعلم أننا انهزمنا . . مرة بعد مرة . . عند ما تحولنا من أمة تجاهـــد و تؤدى الواجب إلى أمة تطالب بحقها . . وأخذت تجرى هنا و هناك فى المنظمات و المحافل الدولية ، تستجدى حقها من عدوها . . و تقسم أرضها بينها و بينـــه ، ما قبل ٦٧ وما بعد ، ٦٧ . . وتسمى ذلك سلاماً عادلا . . أى عدل فى ذلك ؟ إنه حصيلة طبيعية لأمـة لا تؤدى الواجب فى كافـة أمورها الصغيرة ، حتى أصبح عدم أداء الواجب فى الأمور الكبيرة أمراً مقبولا . .

إننا نعانى فى بيوتنا تفكك الأسرة و ضياع الأبناء يوم فكر كل فرد منا فى حقوقه قبل واجباته . .

إننا نقتل أبناءنا . . نقتل فيهم قيمهم . . لأننا نحولهم من بشر عليه أمانة إلى قطعان تبحث عن إشباع الشهوات .

عندما يكون الشعار . . أؤدى واجبي و لو قصر كل الناس فى حقوقى . .

. . لأننى أعبد الله بأداء الواجب . .

. . و حتى لا أشارك فى هدم ما يبقى من البيت . . و المجتمع و الدولة . .

. . و سوف أجد يوماً من يضع يده فى يدى لنبنى و لو كان غيرنا يهدم . .

عند ذلك . . سوف نجد فى النهاية جيلا ينظر لأرضه الضائعة ويردد حديث رسول الله ﷺ « من لم يغز و لم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية » حينئذ فقط . نستطيع أن ندعو الله و نحن موقنون بالاجابة . .

لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .